

سلسلة  
المحاضرات العلمية  
(١)



إعداد  
أ.د. أحمد بن علي القرني

١٤٤١هـ

كتاباً قد حوى دُرراً  
بغير الحُسْنِ لا تُحفظُ  
لهذا قلتُ تشجيعاً:  
حقوق الطبع لا تُحفظُ

## النشرة الثالثة

جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

مزيدةٌ ومنقحةٌ

الإبداع العلمي

للنشر والتوزيع

للتواصل مع المؤلف

على البريد الإلكتروني

[DAL1388@gmail.com](mailto:DAL1388@gmail.com)

مُجَالَسَةُ السُّوقِ مَذْمُومَةٌ  
وفيهما مجالسٌ قد تُسْتَحَبُ  
فلا تَقْصِدَنَّ غَيْرَ سُوقِ الْجِيَادِ،  
وَسُوقِ السِّلَاحِ، وَسُوقِ الْكُتُبِ  
فتلك مجالسُ أهلِ الهوى  
وهذي مجالسُ أهلِ الأدبِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

A decorative flourish consisting of symmetrical, flowing lines in shades of purple, red, and orange, with a central diamond-shaped element containing a small yellow and red motif.



الحمدُ لله وكفَى، وصلاةً وسلاماً على عباده الذين اصطفى.

**وبعد؛**

فهذه محاضرةٌ (أسواقِ الكُتُبِ) ، وهي باكورةُ (سلسلةِ المحاضراتِ العِلْمِيَّةِ) التي ألقيتها هنا وهناك <sup>(١)</sup> .

وهي في معظمها تتناول مواضيعَ علميةٍ لها تعلقٌ بالكُتُبِ، وبطلبِ العلمِ وآدابه، وبأحوالِ العلماءِ ... ونحوِ ذلك، مما يُعنى به العلماءُ وطلابُ العلمِ عادةً.

وقد رأيتُ أن أنشرَ ما اجتمعَ لديّ من هذه المحاضراتِ <sup>(٢)</sup> بعدَ أن أجريتُ عليها بعضَ التشذيباتِ والتحسيناتِ؛ - لأنَّ لغةَ

(١) ربّما أشيرُ إلى الزمانِ والمكانِ الذي ألقىتُ فيه تلكَ المحاضرة، وربما لا أشير، لا سيما إذا تطاولَ عهدي بها، ونسيتُ متى وأين ألقىتها؟

(٢) يختلفُ مفهومُ (المحاضراتِ) عندَ العلماءِ المتقدِّمينِ عن مفهومه عندنا في هذا العصر.

فالمحاضرات عندهم يُرادُ بها ثلاثة أشياء:

**الأول:** علمٌ يَحْصُلُ منه مَلَكةٌ إيرادِ كلامٍ للغير، مناسبٍ للمقام، من جهة معانيه الوضعية، أو من جهة تركيبه الخاص.

والغرضُ منه: تحصيلُ تلك المَلَكة.

وفائدته: الاحترازُ عن الخطأ في تطبيقِ كلامٍ منقولٍ عن الغير على ما يقتضيه مقام التخاطب، من جهة معانيه الأصلية، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه.

**والثاني:** استعمالُ كلامِ البلغاءِ أثناء الكلام في المحلِّ المناسبِ له على طريق الحكاية.

**والثالث:** الحكاياتُ والقَصَصُ والنوادرُ والمسامراتُ ولطائفُ الكلام. وهو ما تُسمِّيه اليومَ (الثقافة العامة)، وهذا هو الأشهر.

- وهذا العلمُ معدودٌ من علومِ الأدب، ولذا قال الناظمُ:

صرفٌ، بيانٌ، معاني، النحو، قافيةٌ  
شعرٌ، عروضٌ، اشتقاقٌ، الخطُّ، إنشاءٌ

محاضراتٌ، وثاني عشرها لغةٌ  
تلك العلومُ لها الآدابُ أسماءُ

وقال آخرُ:

نحوٌ، وصرْفٌ، عروضٌ، ثم قافيةٌ  
وبعدها لغةٌ، قَرَضٌ، وإنشاءٌ

خَطٌّ، بيانٌ، معانٍ، مع محاضرةٍ  
والاشتقاقُ، لها الآدابُ أسماءُ

- ومن الكتبِ المصنَّفةِ فيه: «المحاضرات» لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي

الحنفي، و«محاضرات الأدياء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لأبي القاسم حسين

بن محمد، المعروف بالراغب الأصبهاني، و«درة الغواص في محاضرة الخواص»،

لابن فرحون، و«المحاضرات والمحاورات» للسيوطي، وغيرها.

ويدخل فيه أيضاً كتبُ الأدب المختارة مثل: «ربيع الأبرار» لجار الله الزمخشري،

و«فنون المحاضرة» للراغب الأصفهاني، و«التذكرة الحمدونية» لمحمد بن الحسن

بن محمد بن حمدون، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه، ونحوها.

الخطاب غير لغة الكتاب - ، وستتبعها أخوات لها صالحات إن شاء الله تعالى.

**وفي الختام:** أسأل المولى جلّ وعزّ أن ينفع بهذه المحاضرات قائلها وقارئها، وأن يهيئ لها من يعتني بها: تَعَلِّمًا، وتَعْلِيمًا، وترجمةً، ونشرًا، بفضلِهِ وكرمه، ومنه وجوده.

كما أسأله تعالى، «أن يجعل جميع ما تصوّره أفكارنا في النفوس، وتسطّره أيدينا في الطُّروس، مُبتَغىً به وجهه، مُتَوَخَّىً فيه رضوانه، مأمونًا معه سخطه، مرّجواً عنده عُفْرانُه، إنه المولى المولى كلَّ حظٍّ جسيم، الموري زناد كلَّ خيرٍ عميم»<sup>(١)</sup>.

**انظر:** كشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٦٠٩)، وأبجد العلوم لصديق حسن خان (ص / ٥٠١)، وحاشية السجاعي على قطر الندى (ص / ٧)، والقواعد الأساسية للهاشمي (ص / ١٢).

- **أما مفهوم المحاضرات في عصرنا الحاضر**، فهو: أن يتحدّث أحدهم في ملاء من الناس عن موضوع ما، والبقية يستمعون إليه.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة (١ / ٥١٣) للدكتور/ أحمد مختار عمر: حاضِر القوم: جالسهم وحادثهم بما يحضّره ويخطرُ في باله. وحاضِر الطالب ونحوهم: ألقى عليهم محاضرةً.

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: للزمخشري (١ / ٥).

وقد أذنتُ لكلِّ مَنْ أراد تدريسها، أو ترجمتها إلى أيِّ لغةٍ من لغات العالم - ولو لم يُشعِرني بذلك - شريطةً: أن يكون أهلاً لذلك، وأن لا يُغيِّر شيئاً من معانيها ومراميها.

واللهُ الموفِّقُ والهادي سِوَاء السبيل، وصلى اللهُ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

بمكتبة

أ.د. أحمد بن علي القرني

طيبة

١٤٣٨هـ



## محاضرة أسواق الكتب<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فأشكر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ممثلةً في عمادة شؤون المكتبات على إقامة معرض<sup>(٢)</sup> الكتاب، الذي يُعيد للكتاب وهجته وحضوره ومكانته<sup>(٣)</sup>، بعدما زاحمته كثيرٌ من المعارض الأخرى المنافسة له في هذه الأعصار!

(١) أُلقيت المحاضرة في قاعة الملك سعود بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ضمن فعاليات معرض الكتاب لعام ١٤٣٦ هـ الذي تقيمه الجامعة الإسلامية سنويًا.

(٢) بكسر الراء، لا بفتحها كما هو جارٍ على ألسنة أكثر الناس، هذا هو الصواب. جاء في المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٥): «(المَعْرِضُ): مكانٌ عامٌّ تُعْرَضُ فيه نماذج من المنتجات الفنية، أو الزراعية، أو الصناعية. ومَعْرِضُ الشيء: موضع عَرْضه وذِكْره، يقال: قُلْتُه في مَعْرِضِ كذا».

(٣) كان للكتاب عند الأسلاف مكانة عظيمة، فقد كان لهم الأنيس، والجليس، والنديم، والصاحب!

ومما جاء عنهم في هذا - وهو كثيرٌ جداً -:

❖ **قيل لبعضهم:** أما تستوحش؟ فقال: يستوحش من معه الأُنسُ كُلُّه؟! قيل: وما الأُنسُ كُلُّه؟ قال: الكُتُب!

❖ **وقيل لآخر:** ألا تنادمُ فلاناً؟ فقال: قد نادمتُ من لا يتكلّف لي ولا أتكلّف له، قيل: ومن هو؟ قال: الكتاب!

❖ **وقال الحسن بن طباطبا العلوي في بعض الكتب:** «الكتبُ حصون العقلاء إليها يلجأون، وبساتينهم بها يتزهون».

❖ **وتأخّر عن بعض الرؤساء نديمٌ له فقال:** يا غلام عليّ بالنديم الذي لا يتغيّر، ولا يتغيّب، قال: من هو؟ قال: الكتاب!

❖ **وقال بعضُ الوزراء:** يا غلامُ اتّني بأنسِ الحَلوة، ومجمع السَّلوة، فظنّ جلساؤه أنه يستدعي شراباً، فأتاه بسفطٍ فيه كُتُب!

❖ **وقيل لرجلٍ:** من يؤنسُك؟ فضرب بيده إلى كتبه، وقال: هذه! فقيل: من الناس؟ قال: الذين فيها!

❖ **وقال بعضهم:** الكتبُ بساتينُ العلماء.

❖ **وقال آخرُ:** الكتابُ جليسٌ لا مؤنّة له.

❖ **وروي عن عبد الله بن عبد العزيز العمري** أنه كان يلزم المقبرة كثيراً، معه كتاب يطالعه، ويقول: لا أوعظُ من قبر، ولا أنسُ من كتاب، ولا أسلمَ من وَحدة.

❖ **وقال عليُّ بنُ الجهم:** إذا غَشِيَنِي النعاسُ في غير وقتِ نومٍ - وبئس الشيءُ النومُ الفاضلُ عن الحاجة - قال: فإذا اعتراني ذلك، تناولتُ كتاباً من كُتُب الحِكم، فأجدُ اهتزازي للفوائد، والأريحية التي تعتريني عند الظفرِ ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين، أشدُّ إيقاظاً من نهيق الحمير وهدّة الهدم!

❖ **وقال الفضل بن سهل للمأمون** وهو بدمشق بدير مرّان مُشرفٌ على غوطتها: يا أمير المؤمنين، هل رأيت في حُسنها شيئاً في شيءٍ من مُلك العرب؟ يعني الغوطة. قال: بلى والله، كتابٌ فيه أدبٌ، يجلو الأفهام، ويُذكي القلوب، ويؤنسُ الأُنفسَ أحسنُ منها.

❁ وقيل للمؤمن أيضاً: ما ألدُّ الأشياء؟ قال: التنزُّه في عقول الرجال - يعني قراءة الكتب .

❁ وقال أيضاً: «لا شيء آثرُ للنفس، ولا أشْرَحُ للصدر، ولا أوفْرُ للعَرْض، ولا أذْكي للقلب، ولا أبسطُ للسان، ولا أشدُّ للجَنان، ولا أكثرُ وِفاقاً، ولا أقلُّ خِلافاً، ولا أبلغُ إشارةً، ولا أكثرُ عبارةً، من كتابٍ تكثُرُ فائدته، وتقلُّ مؤونته، وتسقطُ غائلته، وتُحمدُ عاقبته، وهو مُحدثٌ لا يُملُّ، وصاحبٌ لا يُخلُّ، وجليسٌ لا يتَحَفَّظُ، ومُترجمٌ عن العقولِ الماضية، والحِكَمِ الخالية، والأممِ السالفة، يُحيي ما أماته الحفظُ، ويُجددُ ما أخلفه الدهرُ، ويبرزُ ما حجبته الغباوةُ، ويصلُّ إذا قطعَ الثقةُ، ويدومُ إذا خانَ المُلوكُ».

❁ وأنشد الإمام أبو محمد اليحوي لنفسه في مسجده بمدينة دار السلام بغداد:

اجعلْ كتابَكَ كالصندوقِ تفتحه      فتأخذُ المالَ منه ثم تطبِّقُه  
فالمالُ يذهبُ فيما لا التذاذَ به      والعلمُ يبقَى، ويبقى فيكَ رونقُه  
فيه الجمالُ على التأييدِ تلبسه      وهو الذي للسانِ العبيِّ يُنطقُه

❁ وقال بهاء الدين ابنُ حمدون رَحِمَهُ اللهُ: «وجدتُ الكتابَ خيرَ صاحبٍ وقرين، وأفضلَ رفيقٍ وخدين، لا يخون ولا يمين، ولا يماكر ولا يُناكر، ولا يعصي ولا يُنافر، مأمونُ الهفوةِ والزلة، محمودُ الخلوةِ والخلَّة، فهو لمن وُفق للاعتزالِ أسلمُ خليل، وأكرمُ أخٍ برٍّ ووصول، ولمن سلبَ الايثارَ، وحكمتُ عليه غلبَةُ الاضطرار، تذكرةٌ للناسي، وتبصرةٌ للساهي».

❁ وقال بعضهم:

نعم المصاحبُ والجليسُ كتابُ      تلهو به إن خانَكَ الأصحابُ  
لا مُفْشياً عند القطيعةِ سرّه      وتُنالُ منه حِكْمَةٌ وِصوابُ

✽ وقال ناصيف اليازجي:

أصلُّ الناس في الدنيا سبيلاً  
مُحِبَّ باتٍ منها في وثاقِ  
وأفضل ما اشتغلت به كتابُ  
جليلٌ نفعُهُ، حُلُو المَذاقِ  
وعِشْرَةٌ حاذِقِ فطنٍ لبيبِ  
يُفِيدُكَ من معانيه الدِّقَاقِ  
وأخسَرُ ما يَضِيعُ العُمُرُ فيه  
فُضُولُ المَالِ يُجمَعُ للرِّفاقِ!

✽ وكان شيخنا العلامةُ حمادُ الأنصاريُّ يقول: «الكتبُ عندي أفضلُ من قُصور المملوك!».

انظر ما تقدّم في: الحيوان للجاحظ (١ / ٥٢)، وتقييد العلم للخطيب البغدادي (ص / ١٢٥)، والظائف والظرائف للثعالبي (ص / ٦٥)، والمحاسن والمساوي للبيهقي (ص / ٦) فما بعد، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون (١ / ٢٢)، والآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٣ / ٥٧٠)، ونشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف للوصابي (ص / ٢١٧)، ومجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبّش (ص / ٤٢٩)، والمجموع في ترجمة العلامة المحدّث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (١ / ٣٩٥).

✽ لكنَّ أدقَّ وأرقِّ، وأحلى وأجلى، وأمتع وأروع، ما وُصف به الكتابُ، قولُ الجاحظ في كتابه الحيوان (١ / ٣٨) فما بعد: «نعم الدُّخْرُ والعُقْدَةُ هُو، ونعم الجليسُ والعُدَّة، ونعم النَّسْرَةُ والنَّزْهَةُ، ونعم المشتعلُ والحرفَةُ، ونعم الأنيسُ لساعةِ الوحدة، ونعم المعرفةُ ببلادِ الغربة، ونعم القرينُ والدَّخيلُ، ونعم الوزيرُ والنزِيلُ. والكتابُ وعاءٌ ملىءٌ علمًا، وظرفٌ حُسيٌّ ظرفًا، وإناءٌ سُحِنَ مزاحًا وجِدًّا؛ إن شئتَ كان أبينَ من سَحبانٍ وائلٍ، وإن شئتَ كان أعيًا من باقلٍ، وإن شئتَ ضحكتَ من نوادره، وإن شئتَ عجبتَ من غرائبِ فرائده، وإن شئتَ ألَهتَكَ طرائفه، وإن شئتَ أشجنتك مواعظه.

ومن لك بواعظٍ مُلهٍ، وبيزاجٍ مُغرٍ، وبناسكٍ فاتكٍ، وبناطقٍ أخرسٍ، وبياردٍ حارٍّ؟ .....  
ومن لك بطبيبٍ أعرابيٍّ؟ ومن لك بروميٍّ هنديٍّ، وبفارسٍ يونانيٍّ، وبقديمٍ مولدٍ،  
وبميتٍ مُمتعٍ؟

ومن لك بشيءٍ يجمع لك الأوّل والآخِرَ، والناقصَ والوافِرَ، والخفيّ والظاهرَ،  
والشاهدَ والغائبَ، والرفيعَ والوضيعَ، والغثَّ والسمينَ، والشكلَ وخلافه،  
والجنسَ وضدهُ؟

**وبعدُ؛** فمتى رأيتَ بستاناً يُحملُ في رَدْنٍ، وروضةً تُقلُّ في حُجْرٍ، وناطقاً ينطق عن  
الموتى، ويترجم عن الأحياء؟!

ومن لك بمؤنسٍ لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى؟ آمنٌ من الأرض، وأكثرُ  
للسرِّ من صاحب السرِّ، وأحفظُ للوديعه من أرباب الوديعه، وأحفظُ لما استحفظ  
من الآدميين، ومن الأعراب المُعْرِين، بل من الصّيبان قبل اعتراض الاشتغال،  
ومن العُميان قبل التمتع بتميز الأشخاص، حين العناية تامّةً لم تنقص، والأذهانُ  
فارغةٌ لم تنقسم، والإرادةُ وافرَةٌ لم تشعب، والطينةُ لينّةٌ، فهي أقبلُ ما تكونُ  
للطباع، والقضيبُ رطبٌ، فهو أقربُ ما يكون من العُلوق، حين هذه الخصال لم  
يخلقَ جديدها، ولم يوهنَ غرْبها، ولم تتفرّق قواها.....

ولا أعلمُ جاراً أبرُّ، ولا خليطاً أنصفُ، ولا رفيقاً أطوعُ، ولا معلماً أخضعُ، ولا  
صاحباً أظهرُ كفايةً، ولا أقلَّ جنابةً، ولا أقلَّ إملالاً وإبراماً، ولا أحفلُ أخلاقاً، ولا  
أقلَّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلَّ غيبةً، ولا أبعدُ من عَصِيهَةِ (الكذب)، ولا أكثرُ  
أعجوبةً وتصرفاً، ولا أقلَّ تصلفاً وتكلّفاً، ولا أبعدُ من مُراءٍ، ولا أتركُ لشغبٍ، ولا  
أزهدُ في جدالٍ، ولا أكفُّ عن قتالٍ، من كتاب.

ولا أعلمُ قريناً أحسنَ موافاةً، ولا أعجلَ مكافاةً، ولا أحضَرَ معونةً، ولا أخفَّ مؤونةً،  
ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً، ولا أطيبَ ثمرةً، ولا أقربَ مجتنىً، ولا  
أسرعَ إدراكاً، ولا أوجدَ في كلِّ إبانٍ، من كتاب.

كما أشكر كلَّ من أفادني بفائدةٍ، أو فكرةٍ، أو معلومةٍ، قائلًا

لهم:

شكرًا جزيلًا لمن أسدئ لنا حِكْمًا

غَدَتْ لنا في مطاوي البحث نبراسًا

فقد أتى عن رسولِ الله سَيِّدِنَا:

«لا يَشْكُرُ اللهُ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ» (١)

ولا أعلمُ تتاجًا في حادثةِ سنِّه وُقُربِ ميلاده، ورُخصِ ثمنه، وإمكانِ وجوده، يجمع من التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة، ومن الحِكمِ الرِّفِيعَةِ، والمذاهبِ القويمَةِ، والتجاربِ الحكيمَةِ، ومن الإخبارِ عن القرونِ الماضية، والبلادِ المتنازحة، والأمثالِ السائرة، والأممِ البائدة، ما يجمع لك الكتابُ.

قال اللهُ عزَّوجلَّ لنبيه عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ فوصف نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأنَّ علَّم بالقلم، كما وصف نفسه بالكرم، واعتدَّ بذلك في نِعْمِهِ العِظَامِ، وفي أياديه الجِسامِ. وقد قالوا: «القلمُ أحدُ اللِّسانين»، وقالوا: «كُلُّ مَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ فِي بَيَانِ اللِّسَانِ، كَانَ بِفَضْلِ النِّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْقَلَمِ أَعْرَفٌ». ثمَّ جعل هذا الأمرُ قُرْآنًا، ثمَّ جعله في أوَّلِ التَّنْزِيلِ وَمُسْتَفْتَحَ الْكِتَابِ. «إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ الْمَنْصُوصِ، الْمُحَلِّيِّ بِالْجَوَاهِرِ وَالْفُصُوصِ!

ولي مع كلامه هذا عَوْدٌ فِي سَفَرٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

❁ ولقد بلغ من حُبِّ الجاحظ هذا للكتب، أنه كان يستأجر الدكاكينَ من الوراقين،

ويبيت فيها للنظر في الكتب!

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٣٢٢) رقم (٧٩٣٩)، وأبو داود في السنن

(٤/ ٢٥٥) رقم (٤٨١١) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وهذه المعارض التي تُطلُّ علينا مرةً واحدةً في السنة، مدّة أسبوعٍ أو أسبوعين فحسب! كانت عند المتقدمين تُقام طيلة العام! فقد كان عندهم (أسواقٌ للكتب)<sup>(١)</sup>، وهذه الأسواق تستمرُّ طوال السنة .

وكانت تُقام فيها مزاداتٌ على الكتب كمزاداتنا اليوم على العقار والسيارات وما شابهها!

وقد ذكر العلماء أنه لا ينبغي لأهل العلم والفضل دخول الأسواق، إلا سوق السلاح، وسوق الكتب!

قال أبو عبيدة: قال المهلبُ لبنيه في وصيته: «يا بني لا تقوما في الأسواق إلا على زَرَادٍ أو وَرَاقٍ»<sup>(٢)</sup> .

وقال ابنُ العربي: «لَمَّا كَثُرَ الباطلُ في الأسواق، وكثرت فيها المناكر، كره علماءنا دخولها لأرباب الفضل، والمُهتدي بهم في

(١) لطيفة: قال النابلسي: «لكلِّ سوقٍ تأويلٌ، فأما سوقُ الكتب فإن رؤيته في المنام دالةٌ على الهداية، والتوبة، والحكومات، والشُرور، والمجادلات!». تعطير الأنام في تعبير المنام (ص/ ١٩٠).

(٢) الحيوان للجاحظ (١/ ٥٢).

والزَرَادُ: صانعُ الزَرْدِ. والزَرْدُ يُطلق على حِلَقِ المِغْفَرِ، والدرع، جمع زُرود. انظر تاج العروس (٨/ ١٤٢)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٩١).

الدين؛ تنزيهاً لهم عن البقاع التي يُعصى الله فيها»، وفي الآثار: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عُفِّرَتْ ذُنُوبُهُ» إنباءً بأنه وحده عند صَخَبِ الخلق، وَرَغْبِهِمْ فِي المَالِ، أَقْبَلَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، لَمْ يَقْصِدْ فِي تِلْكَ البَقْعَةِ سِوَاهُ؛ لِيَعْمَرَهَا بِالطَّاعَةِ إِنْ عُمِرَتْ بِالمَعْصِيَةِ، وَلِيَحْلِيهَا بِالذِّكْرِ إِنْ عَطَّلَتْ بِالغَفْلَةِ، وَلِيَعْلَمَ الجَهْلَةَ، وَيَذَكِّرَ النَّاسِينَ.

**ثم قال بعد ذلك:** «وأما الأسواق، فسمعتُ مَشِيخَةَ العِلْمِ يقولون: لَا يَدْخُلُ إِلَّا سِوْقُ الكِتَابِ وَالسَّلَاحِ.

وعندي أنه يَدْخُلُ كُلُّ سِوْقٍ؛ لِلحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَلَا يَأْكُلُ فِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِسْقَاطٌ لِلْمَرْوَةِ، وَهَدْمٌ لِلْحِشْمَةِ» (١).

**قال القُرْطُبِيُّ مَعْلَقًا عَلَى كَلَامِهِ:** «قُلْتُ: مَا ذَكَرْتَهُ مَشِيخَةُ أَهْلِ العِلْمِ فَنِعْمًا هُوَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ (يعني: سِوْقُ الكِتَابِ وَالسَّلَاحِ) خَالٍ عَنِ النِّظَرِ إِلَى النِّسْوَانِ وَمَخَالَطَتِهِنَّ، إِذْ لَيْسَ بِذَلِكَ مِنْ حَاجَتِهِنَّ! (٢)، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا مِنَ الْأَسْوَاقِ فَمَشْحُونَةٌ مِنْهِنَّ! وَقِلَّةُ الحَيَاءِ قَدْ غَلَبَتْ

(١) أحكام القرآن (٣/١٤١٤).

(٢) ماذا سيقول الإمام القُرْطُبِيُّ لو شاهد النساءَ اليومَ في معارض الكتب وهنَّ يَسْرُخْنَ وَيَمْرُخْنَ فِيهَا؟! متعطّرات! متزيّنات! سافرات! ليس لمعظمتهم هدفٌ إلا الفتنة! والاستعراض! ومزاحمة الرجال! والتقاط الصور! والتكالب على اقتناء ما سُمِّجَ من كتب (الروايات)! فيالي الله المشتكى!



عليهنّ، حتى ترى المرأة في القيساريّات (١) وغيرهنّ قاعدةً متبرّجةً بزبيبتها، وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا. نعوذ بالله من سَخَطِهِ» (٢).

وما ذكرته المشيخةُ نَظْمُهُ بعضُ العلماء بقوله:  
مُجالسَةُ السُّوقِ مذمومةٌ

وفيها مجالسٌ قد تُستحبُّ

فلا تُقصدنَّ غيرَ سوقِ الدوا

بِ، وسوقِ السلاحِ وسوقِ الكُتُبِ

فتلك مجالسُ أهلِ الهوى

وهذي مجالسُ أهلِ الأدبِ! (٣)

(١) القَيْسَارِيَّةُ: كلمةٌ مُستعملةٌ بالمغرب في كل مدينةٍ على الخصوص. وتُعني السوقُ الذي تُحيط به الأسواقُ؛ حيث يتجمّع معظمُ التجارِ على اختلاف بضاعتهم من لباسٍ أو ما شابه. والكلمةُ من أصل يونانيٍّ. مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد (٩٥) (ص/١٩). وانظر معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد أحمد دهمان (ص/٧٦ و١٢٦)، وتكملة المعاجم العربية لدوزي (٨/٤٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٧).

(٣) تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص/١٢٥).

وقد ورد البيت الثاني في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٣/١٨٥) هكذا:

فلا تقربنَّ غيرَ سوقِ الجِياذِ، وسوقِ السلاحِ، وسوقِ الكُتُبِ

وهو الأشبه.

وسوف أوردُ هنا طَرَفًا من اللطائف والنوادر والحكايات، ممَّا كان يجري في أسواق الكتب تلك.

**ففي «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٢/ ٨٠٣)** جاء في ترجمة العلامة حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني - وكان كفيفَ البصر - : «كان - مع هذا العلم - إذا خرج إلى الطريق بغير قائدٍ لا يهتدي كما يهتدي العميان ! حتى سُوِّقَ الكتب الذي كان يأتيه في كل ليلةٍ، عشرينَ سنةً ! ولم يكن بعيدًا عن منزله !» <sup>(١)</sup>.

**وفيه أيضاً (٦/ ٢٨٣٠)** قال عن يحيى بن محمد الأرزني: «إمامٌ في العربية مليح الخطِّ، سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب» الفصيح «لثعلب» <sup>(٢)</sup> ويبيعه بنصف دينار، ويشترى نيئًا ولحمًا وفاكهةً، ولا يبيت حتى يُنفق ما معه منه !» <sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> وانظر نكت الهميان في نكت العميان (ص/ ١١١)، والوافي بالوفيات للصفدي (١١/ ٢٢٠).

<sup>(٢)</sup> **فائدة:** روى محمد بن الحسن البناء عن بعض شيوخه قوله: «ثلاثةٌ مختصراتٍ في ثلاثة علوم لا أعرف لها نظيراً: الفصيح لثعلب، واللمع لابن جني، وكتاب الخرقى، ما اشتغل بها أحدٌ وفهمها كما ينبغي إلا أفلح وأنجح». المنهج الأحمد ٦٢/٢.

✽ **لطيفة:** جاء في تفسير ابن عرفة (١/ ٣٦٩): «وحكى لنا شيخنا القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام: أنه رأى في سوق الكُتُبِين «الفصيح» لثعلب، وعلى ظهره بخط سيدي أبي علي عمر القرويِّ تعداد ما توهم أنه وقع فيه من الآثام والخطايا ! فقال

ومن العجائب ما جاء في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»

لابن العماد (٩ / ١٨٠) حيث نقل عن البقاعي قوله عن فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي الطيب: «كان ذا باع طويل في الطب، حتى إنه مر يوماً في سوق الكُتبيين فرأى شخصاً ينسخ في كتاب وليس به مرض، فتأمله وقال: هذا يموت اليوم، فكان كذلك!!».

أدرك ذلك بفطنته وخبرته من خلال ملاحظة حاله وحركة يده!  
فأين هذا من طَبِّنا اليوم!؟

**وقال النويري:** «استهلَّت سنةٌ إحدى وثمانين وستمائة، وفيها في حادي عشرين شهر رمضان احترقت الأسواق التي بدمشق، واحترق فيه سوقُ الكُتبيين، فكان ما احترق فيه لشمس الدين إبراهيم الجزري الكُتبي<sup>(٢)</sup> خمسة عشر ألف مجلدٍ؛

في جملتها: وتكلَّم عمرُ القرويُّ في اليوم الفلاني، في مسألة من النحو مع الطلبة وهو غير ضابطٍ لأصولها!».

(١) وانظر بغية الوعاة للسيوطي (٢ / ٣٤٣).

(٢) **قال الصفدي في ترجمته:** «إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز شمس الدين الجزري الكُتبي المعروف بالفاشوشة! ولد سنة اثنتين وست مائة، كان يذكر أنه سمع من فخر الدين ابن تيمية، وتوفي سنة سبع مائة، وكان تاجراً بسوق الكتب بدمشق، له فيها دُكان كبير، وكتب كثيرة، وخبرة تامة بالكتب، يقال: إنه لما احترقت اللبائين احترق له خمسة آلاف مجلد، ولم يبق له غير الكتب التي كانت عند الناس في العرض، أو في العارية.

غير الكرايس والأوراق!!»<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب «العبر في خبر من غير» للذهبي (٤ / ١١٧) ذكر أنه في سنة أربعين وسبعمائة في ليلة السادس والعشرين من شوال وقع حريقٌ كبيرٌ بدمشق، فأتى على سوق الكتب والورّاقين .

قال: «وعُدِم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يُحصَر، ونُسب فعلٌ ذلك إلى النصارى، فأَمِسكَ كبارُهم وسَمَّروا حتى ماتوا» .

**ومن الغرائب** ما جاء في ترجمة الحافظ الحسن بن أحمد العطار، أبي العلاء الهمداني (ت ٥٦٩ هـ)، فقد قال طلحة بن مظفر العلي: بيعت كتب ابن الجواليقي في بغداد، فحضرها الحافظ أبو العلاء الهمداني، فنادوا على قطعةٍ منها: ستين ديناراً، فاشتراها الحافظ أبو العلاء بستين ديناراً، والإنظارُ من يوم الخميس إلى يوم الخميس. فخرج الحافظ، واستقبل طريقَ همدان، فوصل فنادى

وكان يترَفَضُ! قيل إنه جاء إليه إنسانٌ في بعض الأيام وقال له: هل عندك كتاب فضائل يزيد عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! فقال: نعم، ودخل إلى الدكان وخرج وفي يده جرابٌ عتيقٌ وجعل يضربه على رأسه، ويقول: العجبُ كونُك ما قلت: **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!**. الوافي بالوفيات (٥ / ٢٢٣).

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب (٣١ / ٥٩) بتصرّف. وانظر السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (٢ / ١٦٣).

على دارٍ له، فبلغت ستينَ ديناراً. فقال: بيعوا. قالوا: تبلغُ أكثرَ من ذلك. قال: بيعوا. فباعوا الدارَ بستينَ ديناراً فقبضها، ثم رجع إلى بغداد. فدخلها يوم الخميس، فوفَّى ثمنَ الكتب. ولم يشعر أحدٌ بحاله إلا بعد مدةٍ!! (١).

**ومثله ابنُ الخشاب، اللغويُّ المشهورُ، فقد ذكر سبطُ ابن الجوزي عنه أنه كان مُغرِّبَ بشراء الكتب.** قال: حضر يوماً سوقَ الكُتُبِينِ فَنُوْدِيََ عليّ كتابٌ بخمسائة دينار! ولم يكن عنده شيءٌ، فاشتراه وقال: أخروني ثلاثة أيام، ومضى فنادى عليّ داره!! فبلغت خمسمائة دينار، فقبض صاحبها وباعه بخمسائة دينار، فوفاه من ثمن الكتب وبقيت الدارُ له بعشرين ديناراً، وقيل: بغير شيء!! فانظر كيف باع داره؛ من أجل أن يشتري بئمنها كتاباً واحداً!!

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٧).

**لطيفة:** قال ابنُ الجوزي عن أبي العلاء الهمداني هذا: قدم بغداد فأكثر من السماع، وحصل الكتبُ الكثيرة، وعاد إلى بلده همذان فاستوطنها... بلغني أنه رُئي في المنام في مدينةٍ جميع جدرانها من الكتب، وحوله كتبٌ لا تُحَدُّ، وهو مشتغلٌ بمطالعتها، فقيل له: ما هذه الكتبُ؟! قال: سألتُ الله أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا، فأعطاني. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨/ ٢٠٨). وعنه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٨).

وَمِنْ شِدَّةِ وَلَعِهِ بِاقتناءِ الكتبِ - عفا اللهُ عنه - أنه كان إذا حضر سوقَ الكتبِ وأراد شراءَ كتابٍ؛ غافَلَ الناسَ وقطعَ منه ورقةً، وقال: إنه مقطوعٌ؛ ليأخذه بثمانٍ بنخسٍ! فإذا اشتراه أعاد الورقةَ في بيته! <sup>(١)</sup>.  
**قال الذهبيُّ معلقاً:** «إن صحَّ هذا، فلعلَّه تاب، واللهُ يغفرُ له» <sup>(٢)</sup>.

وجاء في كتاب «صفحات من صبر العلماء» لعبد الفتاح أبو غدة (ص: ٢٧٨) في ترجمة علامة حلب في عصره الشيخ أحمد الحجَّار، المتوفى (سنة ١٢٧٨ هـ): أنه كان يحبُّ اقتناءَ الكتبِ، حتى إنه رأى كتاباً يُباع، ولم يكن معه دراهمٌ، وكان عليه ثيابٌ، فنزع بعضَها وباعه واشترى الكتابَ في الحال! وبلغتْ قيمةُ مكتبته بعد موته أربعين ألفاً، مع أنها بيعت بغير أثمانها!

(١) انظر القصّتين في معجم الأدباء لياقوت الحموي (٤ / ١٤٩٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٢ / ٣٦٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢ / ٣٠).

(٢) قال ابنُ الجوزي: مرَّص ابنُ الخشاب نحواً من عشرين يوماً، فدخلتُ عليه قبل موته بيومين، وقد يئس من نفسه، فقال لي: عند الله أحتسبُ نفسي....  
 وحدثني عبد الله الجبائي العبد الصالح قال: رأيتُه في النوم بعد موته بأيام، ووجهه يُضيء، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: وأدخلك الجنة؟ قال: وأدخلني الجنة، إلا أنه أعرض عني، فقلت له: أعرض عنك؟ فقال: نعم، وعن جماعةٍ من العلماء تركوا العمل. سامحه الله وغفر له. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ٢٦١).

وحصل ذلك أيضاً للشيخ عبد الفتاح أبو غدة في أيام الطلب، فقد ذكر أنه عرّضت للبيع مجموعة من الكتب النادرة له بها اهتمام بالغ، ولم يكن معه سوى شالّة (نوع من اللباس) ورثها عن أبيه، فباع شالته تلك في سوق الحراج، واشترى بثمنها تلك الكتب! (١).

وفي «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري (٩ / ٢٧٦) ذكر أبو الفتح بن سيد الناس عن شيخه ركن الدين ابن القوّبَع أنه لما قدم إلى الديار المصرية حضر سوق الكتب، وكان مع المنادي ديوان ابن هانئ المغربي، فأخذ الشيخ ركن الدين واشتراه، وذكر قصة لطيفة في النحو (٢).

(١) المرجع نفسه.

**لطفة:** من العلماء المعاصرين الذين كانوا يبيعون ما فوقهم وما تحتهم ليشتروا كتاباً، شيخنا العلامة حمّاد الأنصاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فقد حدثني ذات مرّة أنه اشترى جزءاً واحداً من مخطوط كتاب: «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» لابن كثير - وهو في أربعة أجزاء - بأربعة آلاف ريال!! فيما أذكر.

(٢) وهي أن الشيخ ركن الدين أخذ يترنم بقول ابن هانئ:

**فتكاتٍ لحظك، أم سيوفٍ أيبك؟ وكؤوسٍ خمرك، أم مراشفٍ فيك؟**

وكسر التاء، وفتح الفاء والسين والفاء، فالتفت إليه ابن النحاس، وقال له: ما ذا إلا نصبٌ كثير!

فقال له الشيخ ركن الدين - بتلك الحدة المعروفة منه والثفرة - : أنا أعرف الذي تريده أنت من رفع هذه الأشياء، على أنها أخبارٌ لمبتدآتٍ مقدّرة، أي: أهذه فتكاتٍ لحظك، أم كذا، أم كذا؟ وأنا الذي أقوله أغزل وأمدح، وتقديره: أأقاسي فتكاتٍ

وفي «أعيان العصر وأعوان النصر» لصلاح الدين الصفدي (١ / ٤٥) ذكر في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن هلال الحنبلي برهان الدين الزرعي، قال: «كان يميل إلى التَّسْرِي (١) بالأتراك، ويقع معهن في الحبائل والأشراك! فكنتُ أراه جمعةً في سوق الجوارى، وجمعةً في سوق الكتب؛ ليجمع بذلك بين الدرِّ والدرَّاري!! وتعلَّم اللغة التركيَّة من جواريه، وتكلَّم بها فقلَّ من يؤاخذه فيها لما يجاربه» (٢).

لحظك، أم أفا سي سيوف أبيك، وأرشف كؤوس خمرك، أم مرأشف فيك. فأخجل ابن النحاس، وقال: يا مولانا! فلم لا تصدِّر وتشغل الناس؟ فقال - استخفافاً بالنحو، واحتقاراً له - وأيش هو النحو في الدنيا؟ النحو علمٌ يُذكر؟ أو كما قال. انظر مسالك الأبصار للعمري (٩ / ٢٧٦)، والوافي بالوفيات (١ / ١٨٨)، وأعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٥ / ١٥١)، والدرر الكامنة لابن حجر (٥ / ٤٤٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (١ / ٢٢٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢ / ٢٣٩)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج للتبكتي (ص / ٣٨٧).

(١) التَّسْرِي: هو اتخاذ السراري، واحدها سرِّيَّة، وهي الأمة يتخذها سيدها للوطء. قال الأزهري: اختلفوا في السرِّيَّة من الإماء لم سميت سرِّيَّة؟ فقال بعضهم: نُسبت إلى السرِّ وهو الجماع، وضمَّت السين فرقاً بين المهيرة وبين الأمة تكون للوطء، فيقال للحرة إذا نكحت سراً: سرِّيَّة، وللأمة يتسراها صاحبها سرِّيَّة. وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال: السرُّ: السُّرورُ فسميت الجارية سرِّيَّةً لأنَّها موضع سُرور الرجل، وهذا أحسنُ القولين. تهذيب اللغة (١٢ / ٢٠٣). وانظر الزاهر في معاني كلمات الناس للأنباري (٢ / ٣١٣).

(٢) وانظر الوافي بالوفيات (٥ / ٢٠٤).



وقال ابنُ حجر عن بدر الدين الزُّركشي: «كان منقطعاً في منزله لا يتردّد إلى أحدٍ، إلا إلى سوق الكتب، وإذا حضره لا يشتري شيئاً (١)، وإنما يُطالع في حانوت الكُتبي (٢) طولَ نهاره، ومعه ظُهُورٌ أوراقي يُعلّق فيها ما يُعجبه، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه!» (٣).

**وعكسه** شيخُ العربية بهاءُ الدين بنُ النّحاس، فقد نقل عنه الصفديُّ قوله: «ما يزال عندي كتبٌ بألف دينار، وأحضرُ سوقَ

(١) **قلتُ:** لعلّ هذا كان في أول أمره، ثمّ رزقه الله بعد ذلك المال الوفير؛ فقد قال في كتابه البحر المحيط في أصول الفقه (١ / ٦): «وقد اجتمع عندي - بحمد الله - من مصنّفات الأقدمين في هذا الفن ما يربو على المئتين!».

(٢) **قلتُ:** قد وقفتُ - بحمد الله أثناء مطالعاتي - على اسم هذا الكُتبي، وهو عبد الكريم بن إبراهيم بن أحمد كريم الدين المصري الحنبلي **رَحْمَةُ اللَّهِ** ففي الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ٣٠٦) قال عنه: «هو آخرُ من بقي بسوق الكُتبيين. قلتُ: وبلغني أن البدر الزركشي كان يكثر الجلوس بحانوتٍ من حوانيته التي بها ما لا يحتاج لبيعه غالباً، طوّل النهار غالباً؛ للمطالعة والكتابة ونحو ذلك».

✻ **لطفة:** قال الحافظُ ابنُ حجر عن عبد الكريم الكُتبيّ هذا: «كان للطلبة به نفعٌ؛ فإنه كان يشتري الكتبَ الكثيرةً، وخصوصاً العتيقةً، ويبيع لمن رام منه الشراء من الطلبة برأس ماله، أو بفائدةٍ بعينها، ويشترط له أنه متى رام بيعَ ذلك الكتاب يدفعُ له رأس ماله، فكان الطالبُ يتنفع بذلك الكتاب دهرًا، ثم يأتي به إلى السوق فينادي عليه، فإن تجاوز الثمن الذي اشتراه بآءه، وإن قَصُر عنه أحضره فاشتراه منه برأس ماله، ولا يَحْرُمُ معهم في ذلك». إنباء الغمر بأبناء العُمر (٣ / ١٠٩).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥ / ١٣٤).

الكتب دائماً، ولا بد أن يتجدد لي علمٌ باسم كتابٍ ما سمعتُ به»<sup>(١)</sup>.

**وقال ابنُ حجر** عن عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن: «كان يقتني الكتب، بلغني أنه حضر في الطاعون العامَّ بيعَ كتبِ شخصٍ من المحدثين، فكان وصيُّه لا يبيع إلا بالنقد الحاضر، قال: فتوجهتُ إلى منزلي فأخذتُ كيساً من الدراهم، ودخلتُ الحلقةَ فصبيته! ففصرتُ لا أزيد في الكتاب شيئاً إلا قال: بعْ له، فكان فيما اشتريتُ مسندَ الإمام أحمد بثلاثين درهماً»<sup>(٢)</sup>.

وفي «طبقات الشافعية الكبرى» للسُّبكي (١٦٣ / ٩) ذُكر في ترجمة صفِّي الدين الهندي الأرموي قصةً لطيفةً وقعت له في سوق الكتب، قال: «كان خطُّه في غاية الرداءة، وكان رجلاً ظريفاً ساذجاً، فيحكى أنه قال: وجدتُ في سوق الكتب مرةً كتاباً بخطِّ ظننتُه أقبحَ من خطِّي! فغاليتُ في ثمنه، واشتريته؛ لأحتجَّ به على من يدعي أن خطِّي أقبحَ الخطوط، فلما عدتُ إلى البيت وجدته بخطِّي القديم!!».

(١) أعيان العصر وأعيان النصر (٤ / ١٩٦). وانظر الوافي بالوفيات (٢ / ١١).

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر (٥ / ٤٢).

وفي «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» لابن فهد المكي (ص/ ٩٤) أن الحافظ مُغلطاي بن قليج البكجري لما ألف كتابه «الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبِّين» حصل له بسببه محنةٌ عَزْرَ واعتُقل فيها، ومُنِعَ أهلُ سوقِ الكتبِ من بيعه! <sup>(١)</sup>.

وفي «فوات الوفيات» للكُتبي (٤/ ١٨٤) في ترجمة ناصر بن علي بن خلف، الوجيه المعروف بابن صورة الكُتبي؛ قال: «كان سِمَساراً <sup>(٢)</sup> في الكتب بمصر، وله في ذلك حظٌ كبيرٌ، وكان يجلس

---

(١) وسببُ ذلك؛ أنه لما رحل الحافظُ صلاحُ الدين العلائي في (سنة ٧٤٥هـ) إلى القاهرة بابنه شهاب الدين أبي الخير أحمد؛ لِيُسمعه على شيوخ العصر بها، وقف في سوقِ الكتبِ على كتابٍ للمترجم، جمعه في العشق، وتعرَّض فيه لذكر الصَّدِيقَةِ عائشة! فأنكر عليه ذلك، ورفع أمره إلى القاضي الحنبلي - وهو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي - فاعتقله بعد أن عزَّره، فانتصر له الأميرُ بدرُ الدين جنكلي بن محمد بن البابا العجلي، وخلَّصه. التنبية والإيقاظ للطهطاوي (ص/ ٦٢).

(٢) السَّمَسارُ: هو الدَّلَّالُ.

❁ فائدة: في شرح الزُّرقاني على الموطأ (٣/ ٥٠٩) في مَعْرِضِ كلامه عن النَّجَشِ، نَقَلَ عن ابن عرفة أنه كان يسوق الكُتبيين بتونس رجلاً مشهوراً بالصلاح، عارفٌ بقيمة الكتب، يستفتح للدلائل ما يبنون عليه، ولا غرض له في الشراء. قال: وهذا الفعلُ جائزٌ على ظاهر تفسير مالكٍ وقولِ ابنِ العربي، لا على قول الأثير. وانظر المختصر الفقهي لابن عرفة (٥/ ٣٣٩)، وبدائع السُّلك في طبائع المُلك لابن الأزرق (٢/ ٤١٦).

في دهلير داره لذلك، ويجتمع الناس عنده يوم الأحد والأربعاء من أعيان الرؤساء والفضلاء، ويعرض عليهم الكتب التي تُباع، ولا يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق» (١).

❁ **ومما يستملح ذكره هنا**، أن رجلاً دلاًلاً كان في سوق الكتبيين يُسمى عدلان، فكان العزُّابن عبد السلام يمزح معه بقوله: أنت عدلٌك عن الحق إلى الباطل أو العكس؟! انظر تفسير ابن عرفة (٢ / ٢٦١).

(١) **من اللطائف** أن ابن صورةً هذا كانت له دارٌ مليحةٌ موصوفةٌ بالحُسن فاحترقت، فقال في ذلك أبو الحسن علي بن المنجم:

**أقول وقد عاينتُ دارَ ابنِ صورةٍ وللنارِ فيها مارجٌ يَضرُّمُ  
كذا كلُّ مالٍ أصله من نَهاوشٍ فعمَّا قليلٍ في نَهايرٍ يُعدَمُ!**

**قلتُ:** البيتُ الثاني مأخوذٌ من حديث: «مَنْ أصابَ مالاً من نَهاوشٍ، أذهبَ اللهُ في نَهايرٍ!»

والنَهاوشُ: الحرامُّ، والنَهايرُ: المَهالكُ.

لكنه حديثٌ باطلٌ لا يصحُّ، قال عنه الشيخُ الألباني **رَحِمَهُ اللهُ:** «لا يصحُّ. رواه القُضاعيُّ في مسند الشهاب» (ق ٣٧ / ٢) والرَّامهُرْمُزيُّ في «الأمثال» (ص / ١٦٠) عن عمرو بن الحصين قال: أنبأنا محمد بن عبد الله بن علاثة قال: أنبأنا أبو سلمة الحمصي مرفوعاً.

**قلتُ:** وهذا إسنادٌ ساقطٌ، عمروٌ هذا كذابٌ كما سبق مراراً، وقال السخاوي في «المقاصد» (رقم ١٠٦١): عمرو متروك، وأبو سلمة واسمه سليمان بن سلم وهو كاتب يحيى بن جابر قاضي حمص، لا صحبة له، فهو مع ضعفه مرسل، وقد عزاه الديلمي ليحيى بن جابر هذا وهو أيضاً ليس بصحابي، وقال التقي السبكي في «الفتاوى» (٢ / ٣٦٩): إنه لا يصح، وله كلام طويل في نقضه وقد

ذكر العسكري في «التصحيفات» (١ / ٢٢٩) عن أبي عبيد أنه غير محفوظ.  
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١ / ١١٥).

✽ **تنبيه:** وقع الخُلفُ في كلمة: (نهاوش) الواقعة في الحديث. فقيل: نهاوش. وقيل: مهاوش. وقيل: نهاوش.

**قال أبو عبيد القاسم بن سلام:** «قالوا: المهاوش: كل مال أصيب من غير حله كالسرقة والغصب والخيانة ونحو ذلك فهو شبيه بما ذكروا من الهوشات بل هو منها. وأما النهاير فإنها المهالك في هذا الموضوع. وبعض الناس يروونها: من أصاب مالا من نهاوش «بالتون ولا أعرف هذا والمحفوظ عندنا بالميم». غريب الحديث (٤ / ٨٦).

**وقال الخطابي:** «في الحديث: (من جمع مالا من نهاوش). هكذا يقول أصحاب الحديث: بالتون، وهو غلط. إنما هو: من نهاوش، وزنه: تفاعل، من الهوش، وهو الاختلاط». إصلاح غلط المحدثين (ص/ ٦٨).

**لكن قال الزمخشري:** وروي: نهاوش بالتون، فإن صححت فهي المظالم والإجحافات بالناس من قولهم: نهشه إذا جهده، والمنهوش المجهود. الفائق في غريب الحديث (٤ / ١١٨).

وانظر جمهرة اللغة لابن دُرَيْد (٢ / ٨٨٣)، وغريب الحديث للخطابي (٢ / ٥٦١)، ومجمع بحار الأنوار للفتني (٥ / ١٧٨)، وتاج العروس للزبيدي (١٤ / ٣٢٢).

✽ **وفي ابن صورة** يقول ابن الساعاتي وقد غدر به في كتاب:

يا خائناً ما كنت أحسبُ —————  
بُهْ يخفُّ إلى الخيانة

أصبحت في سلب القلوب —————  
ب، وذاك من عدم الديانة!

كفتى زييد في العما —————  
رة، وابن صورة في الأمانة!

فامرر عليه وقل له —————  
في الستر منه والضيانة!

ياريشكون غدرت بي —————  
إن كنت تحسن بالرطانة!

وقال الحافظُ ابنُ حجر عن عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن العجمي: «وهو من بيتٍ كبيرٍ بحلب، وقدم القاهرةَ فحظيَ بها، وأتجر في الكتب، فحصلَ منها مالاً جمًّا... وانقطع مدةً في آخر عمره لا يخرج إلا إلى صلاةٍ، أو عيادةٍ مريضٍ، أو سوقِ الكتب»<sup>(١)</sup>.

ولنختِمَ هذه المقدمة بهذه القصة اللطيفة، ففي «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» للمقري (١ / ٤٦٢): «قال الحضرميُّ: أقمْتُ مرّةً بقرطبة، ولازمتُ سوقَ كتبها<sup>(٢)</sup> مدةً أترقّب فيها وقوعَ

قال محققُ الكتاب: «ريش كن بالفارسية تعني من ذهب جهده سُدى. والأقرب أن تكون ريش كاو: وهو البليدُ أو الجَشَع».

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ١٩٧)، وفوات الوفيات للكتبي (٤ / ١٨٤)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي (٣ / ٤٢٧)، وثمرات الأوراق للحموي (١ / ٧٠).

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣ / ٢٢٥).

(٢) جاء في وصف (قُرطبة): «هي أكثرُ بلاد الأندلس كتباً، وأشدُّ الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتى إن الرئيسَ منهم الذي لا تكون عنده معرفةٌ يحتفل في أن تكون في بيته خزانهُ كتبٍ، ويتخب فيها، ليس إلاّ لأن يُقال: فلانٌ عنده خزانهُ كتبٍ، والكتابُ الفلانيُّ ليس هو عند أحدٍ غيره، والكتابُ الذي هو بخط فلانٍ قد حصّله وظفر به!....

قال ابنُ سعيد: وجرتُ مناظرةً بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رُشد والرئيس أبي بكر بن زهر، فقال ابنُ رشد لابن زهرٍ في كلامه: ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالمٌ بإشبيلية فأريد بيعَ كتبه حُمِلت إلى قرطبة حتى

كتابٍ كان لي بطلبه اعتناءً، إلى أن وقع، وهو بخطٌ جيّدٍ، وتسفيرٍ<sup>(١)</sup> مليحٍ، وفرحتُ به أشدَّ الفرح، فجعلتُ أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلتُ له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يُساوي؟! قال: فأراني شخصاً عليه لباسُ رياسةٍ، فدنوتُ منه، وقلتُ له: أعزَّ الله سيّدنا الفقيه، إن كان لك غرضٌ في هذا الكتاب تركته لك؛ فقد بلغتُ به الزيادةُ بيننا فوق حدّه؛ قال: فقال لي: لستُ بفقيهٍ، ولا أدري ما فيه، ولكنّي أقمتُ خزائنَ كتبٍ<sup>(٢)</sup>، واحتفلتُ فيها؛ لأنجمّل بها بين أعيان

تباع فيها، وإذا مات مُطربٌ بقرطبة فأريدُ بيعُ تركته حُمِلتُ إلى إشبيلية!! . نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب (١ / ٤٦٢).

(١) **التسفيرُ**: هو التجليد. انظر تكملة المعاجم العربية: لدوزي (٦ / ٨٣).

(٢) **الخزائنُ**: بكسر الخاء، الموضوع الذي يُخزَنُ فيه الشيء من المتاع والذهب والكتب ونحوها. انظر: العين (٤ / ٢٠٩)، وتهذيب اللغة (٧ / ٩٦)، والمعجم الوسيط (١ / ٢٣٣).

✽ **ومن لطائفِ المفتي أبي السُّعود**، أنه سُئِلَ عن الخزانة والقَصعة أيقْران بالفتح أو بالكسر؟ فأجاب بقوله: لا تفتح الخزانة! ولا تكسِر القَصعة! ردّ المحتار على الدرّ المختار: لابن عابدين (١ / ١٦). وانظر: تحفة الحبيب على شرح الخطيب: للبيجريمي (٤ / ٤٦٣)، وحاشية الجمل على شرح المنهج (٤ / ٤٩٢). ولا يخفى ما في جوابه من اللطافة.

✽ **ومن هذه الضوابط اللغويّة المُستلطفة أيضاً**: ما ذكره المُحِبِّي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢ / ٥٤) عن الشيخ بدر الدين البُوريني الشافعي، قال: «لطائفه كثيرة، فمن ذلك ما رأيته بخطّه أنه سُئِلَ عن الحَبِّ (وعاء الماء) هل هو

بالكسر أو بالضم؟ فقال: هو بالكسر، ويُستحسنُ فيه الضمُّ (يعني: الحُبُّ)! وعن الجفنُ أهو بالكسر أو بالفتح؟ فقال: هو بالفتح، ويُستحسنُ فيه الكسرُ! وهذا الجوابان شبيهان بجواب الزمخشري وقد سُئل عن العثيرِ (العُبار) أهو بالفتح أو بالكسر؟ فقال: بالكسر، ولا تُفتحُ فيه العينُ! (يعني: العينَ الباصرة؛ لئلا يدخلها العُبارُ)».

**قلتُ:** أما انكسارُ الجفنِ في كلام البُوريني السابق فهي صفةٌ جميلةٌ في المحبوب! ولذا أكثر منها الشعراء، فمن ذلك قولُ ابنِ القيسراني:

رَنَا بِطَرْفِ مَرِيضِ الْجَفْنِ مُنْكَسِرٍ      فَمَنْ رَأَى جُودْرًا يَلْهُو بِأَسَادِ  
جَفْنٌ رَوَى عَنْهُ مَا يَرِيهِ مِنْ سَقَمٍ      جَسْمِي، فَصَحَّ بِهِ نَقْلِي وَإِسْنَادِي

معجم الأدباء: للحموي (٦ / ٢٦٥٩).

وقال أبو الحسين الجزار:

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ جَفْنٍ تُدِيرُ بِهِ      عَلَيَّ نَدَامَاكَ خَمْرًا وَهُوَ مُنْكَسِرٌ!

فوات الوفيات: للكثيري (٤ / ٢٩١).

✽ **ومثل ما تقدم قولهم:** لا تُحرِّكِ الإِبْطَ فَيُفُوح! ولا تفتحِ الجِراب! ولا تَمُدَّ القَفَا! ولا تُكسِر «الصَّحَّاح»! (كتاب الجوهرى)، وإذا دخلت مكةَ فافتح: (طوى) وإذا خرجت فضم: (طوى)! و(الجنابة) بفتح الجيم وكسرها، فالأعلى للأعلى (يعني: الميت)، والأسفل للأسفل (يعني: النَّعش)! و(ملك) بكسر اللام في الأرض، و(ملك) بفتحها في السماء!

انظر: فتح المغيث: للسخاوي (٣ / ٤٣).

**قلتُ:** أما بالنسبة لكتاب «الصَّحَّاح» للجوهرى، فقد جاء في كتاب «الإفادات والإنشادات»: للشاطبي (ص / ١٤١)، قال: «سألني الشيخ القاضي أبو عبد الله المقرئ عن اسم كتاب الجوهرى، فقلتُ له: من الناس من يقول له: الصَّحَّاح بالكسر، ومنهم من يفتح.



البلد! وبقي فيها موضعٌ يسع هذا الكتاب، فلمّا رأيتُه حسنَ الخطِّ، جيّدَ التجليد استحسنتهُ، ولم أبالِ بما أزيد فيه! والحمد لله على ما أنعم به من الرزق، فهو كثيرٌ!

**قال الحضرميُّ:** فأحرَجني، وحمَلني على أن قلتُ له: نعم، لا يكون الرزقُ كثيراً إلاّ عندَ مثلك! يُعطى الجوزُ من لا عنده أسنانٌ! وأنا الذي أعلمُ ما في هذا الكتاب، وأطلبُ الانتفاعَ به، يكونُ الرزقُ عندي قليلاً! وتحوّل قلةُ ما بيدي بيني وبينه!! (١).



**فقال:** إنما هو بالفتح بمعنى الصحيح، كما ذكره في باب: صحّح، ويُحتمل أن يكون مصدرَ صحَّحَ كجَبَّان. وانظر الصحاح (١ / ٣٨١).

- **وسئَل** بعضُ أئمة اللغة عن الفرق بين الماتِح والماتِح (ويقال له: المايح أيضاً، وهو المرادُ هنا)، فقال: اعتبرْ نُقْطَتي الإعجام، فالأعلَى للأعلى، والأدنى للأدنى! والماتِحُ: هو الذي يَسْتَقِي الماءَ من البئر وهو على رأسها .  
والماتِحُ (المايح): هو الذي نزل البئرَ إذا قلَّ ماؤها، فيملاً الدلاءَ . انظر شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد (٦ / ٢٧١).

(١) كلامُ الحضرميِّ هذا فيه نوعُ اعتراضٍ على القضاء! سامحه الله وعفا عنه بمنه وكرمه.

هذه أيها الإخوة إلماحةٌ سريعةٌ لحال أسواق الكتب في تلك الأزمنة والعُصر الخوالي، حينما كان أهلها يهتمون بالعلم، ويُولونَه أعظمَ العناية.

أما الأهداف التي أرمي إلى ذكرها - إن شاء الله تعالى - في هذه المحاضرة عن أسواق الكتب (معارض الكتب) في هذه الأزمنة، فهي كثيرة، وقد قسّمْتُها إلى ثلاثة أقسام، وجعلتُ كلَّ قسمٍ في فصلٍ مستقلٍّ، وهي كالتالي:

الفصل الأول: الأهداف العامّة.

الفصل الثاني: الأهداف الخاصّة.

الفصل الثالث: مُقترحاتٌ وتحذيراتٌ.





# الفصل الأول

## الأهداف العامة



## الفصل الأول الأهداف العامة

أما الأهداف العامة الكبرى فهي:

### ١ - الإسهام الفاعل البناء في تنشيط الحركة الثقافية في البلد:

وهذا أمرٌ واضحٌ؛ فما أن يُقامَ معرضٌ للكتاب، إلا وتجد الناس يأتون إليه من كل حدبٍ وصوبٍ، من المدينة نفسها ومن خارج المدينة، بل ربما يُرحل إليه من دولٍ أخرى، كما هو الحال في المعارض الدولية على سبيل المثال.

كذلك فإنه قد يُصاحب تلك المعارض انعقادُ فعالياتٍ ثقافيةٍ، من: محاضراتٍ، وندواتٍ، ومسابقاتٍ، وقراءاتٍ نقديةٍ للكتب، وحواراتٍ، ومجالسٍ شعريةٍ، وغير ذلك. وهذه كلها من الأهداف العظيمة لهذه المعارض.

وهذا الأمرُ ممّا يُحفّز القنوات الإعلامية بجميع أنواعها: الإذاعة، والتلفزة، والصحافة، والإعلام الجديد (التويتير، والفيس بوك، وأشباهاها)، على متابعة الحداث، ورصد كافة نشاطاته.



## ٢ - تشجيع المجتمع بجميع فئاته ومستوياته على القراءة وحب الكتاب:

إن كثيراً من الناس تبدأ صلتهم بالكتاب عن طريق معرض الكتاب؛ لذا فإنه ينبغي اصطحاب جميع الفئات العمرية إلى المعرض، حتى الأطفال الصغار؛ فإن هذا سيُقي أثرًا في ذهن ذلك الطفل، حينما يشاهد هذا الكم الهائل من الكتب بأنواعها وألوانها، مما يُحدث في نفسه أثرًا محموداً، ربما يبقى هذا الأثر طيلة حياته، ويكون بعد ذلك من عشاق الكتب ورواد المعارض.

كذلك فإن في المعارض إعادة رَدِّ اعتبارٍ للكتاب بنوعيه: الورقي، والإلكتروني، لاسيما أن الكتاب قد زُوحم في هذا الزمان مزاحمةً شديدة من الوسائل الكثيرة التي وُجدت في هذا العصر، والتي تُعنى بنقل المعلومات: كالقنوات الفضائية، والانترنت، والواتس أب، والفيس بوك، وتويتر، وغيرها.

ولذا فقد أحسنتُ صنعاً كثيراً من المتاجر الإلكترونية بإنزالها الكتب في مواقعها، وهذا الصنيع قدّم خدمةً عظيمةً للمولعين بمثل هذه الوسائل العصرية<sup>(١)</sup>.

(١) لطيفة: قال أبو الطيّب المتنبّي قديماً:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا: سَرُجٌ سابِحٌ وخيرٌ جليْسٍ في الزمان: كتابٌ

ومراؤه بالشرط الأول: أن أرفعَ وأمنعَ مكانٍ في الدنيا هو: ظهرُ الجواد السريع.

٣ - توفير الكتاب لكل شرائح المجتمع، وفق متطلبات الناس، ورغباتهم، وتخصّصاتهم المختلفة:

كلُّ هذا تحت سقفٍ واحدٍ، وفي وقتٍ واحدٍ. ولقد أصاب الكاتبُ المصريُّ عباس محمود العقّاد حينما قال: (الكتبُ طعامُ الفكر) ! فكلُّ واحدٍ له طعامٌ يناسبه.

ولهذا يجد الناسُ في معارض الكتبِ كلَّ ما يريدون، حتى النساءُ والأطفالُ؛ فهناك مكتباتٌ متخصصةٌ في كتب الأطفال وقصصهم وألعابهم وما يُسمّى ألعاب الذكاء ونحو ذلك، وهناك كتبٌ كثيرةٌ تخصّ النساء أيضاً.

بل وتلبّي المعارضُ رغباتِ أصحابِ الهواياتِ النادرة، مثل الذين يُولعون بجمع الكتبِ النادرة، أو الصحف والمجلاّت القديمة، أو الكتبِ المتخصصةّة في لونٍ معيّن من المعرفة: مثل تاريخ الجزيرة العربية، أو تاريخ المدينة المنورة، أو كتب الإعجاز العلمي، أو الكتب المترجمة، أو الروايات، أو القصص، أو الدواوين الشعرية، أو حتى المطويات والمنشورات ... إلخ.

فهذه المعارضُ تلبّي أذواق الجميع.

**قلتُ:** لكن تغيّر الحال في هذا الزمان، فأصبح أعزُّ مكانٍ هو: متنُّ الطائرات الحربية النفاثة! وصار خيرُ جليس - عند أكثر الناس صغاراً وكباراً - ما يُسمّى: بد (الهاتف اللّوحي)، أو (اللّوح الكفّي) بأنواعه وأحجامه المختلفة!

وعليه فقد قلتُ تصحيحاً لبيت المتنبي؛ بناءً على واقع الحال:

أعزُّ مكانٍ متنُّ (نفاثة) سمّت وخير جليسٍ (لوح كفّ) مطوّر!

## ٤ - رفع قيمة العلم والثقافة في المجتمع:

وذلك لكثرة المعارض المزاحمة طيلة العام، كمعارض السيارات، والمواد الاستهلاكية، والملابس، والأسر المنتجة، والصناعات، والعقارات، والمستلزمات الطبية.... وغير ذلك، فيأتي الكتابُ ومعارضُ الكتب لتكون بلسماً للعقول والأرواح في وسط هذا الخضمّ الصاخب من المعارضات!

٥ - تبادل المعارف والخبرات بين دور النشر والمكتبات  
والمؤسسات الثقافية المختلفة المشاركة في المعرض:

بل وتبادل الإصدارات والمطبوعات، فكم رأينا من مكتباتٍ تباع كتباً كثيرةً، وبكمياتٍ كبيرة، على مكتباتٍ أخرى مشاركة في المعرض.

كما رأينا بعض المكتبات تشتري الكميات المتبقية لبعض الدور، فيعود إلى بلده وقد حقق مكاسب عظيمةً.

فهي فرصةٌ للطرفين، لاسيما لتلك المكتبات التي تأتي من أقصى الأرض؛ إذ قد لا تلتقي تلك الدور إلا في معارض الكتب.





٦ - أنه فرصة عظيمة لتعريف الجامعات، والمؤسسات الثقافية، والجمعيات الخيرية، والجهات الحكومية، المشاركة في المعرض بنفسها ومنجزاتها:

وهذا أمر مشاهدٌ وواضحٌ، وهي فرصة ذهبيةٌ لهذه الجهات وأشباهها، ولهذا تراهم يوزعون منشوراتهم وكتبهم بالمجان.

٧ - تشجيع حركة النشر في البلاد العربية والإسلامية:

مقارنةً بدول أمريكا ودول الغرب واليابان، نجد هناك بوناً شاسعاً في أعداد الكتب التي تُطبع سنوياً في الدول العربية والإسلامية وتلك الدول.

ففي إحصائية منظمة اليونسكو لعام (٢٠١١ م) ذكروا أن ما طُبِع في بريطانيا وحدها في ذلك العام بلغ (٢٠٦) ألف عنوان، بينما لم يُطبع في مصر - التي هي أكثر البلاد العربية طباعةً للكتب، ومعرضها للكتاب أكبر المعارض العربية على الإطلاق - إلا (٩ آلاف) عنوان !!

فانظر إلى الفرق الهائل بين العديدين، علمًا بأن مصر تطبع للعالم العربي كله وليس لها وحدها! كما لا تنس أيضاً أن عدد سكان بريطانيا نحو (٦٠) مليون وعدد سكان مصر وحدها أكثر من (٩٠) مليون!

كما جاء في بعض الإحصائيات أن جميع ما يُطَبَع في دول العالم العربي مجتمعةً لا يزيد عن (٢٠) ألف عنوان في السنة! بينما هناك ملايين العناوين التي تُطبع سنويًا في بلاد أوربَّا وأمريكا واليابان!

وفي إحصائيةٍ أخرى ذكرت أن الأمريكيين يُنفقون أكثر من (٦٥) مليون دولار يومياً على شراء الكتب! بمعدل نحو ستة ملايين كتاب يومياً!!<sup>(١)</sup>.

**ولهذا:** جاء في تقرير التنمية البشرية أن الإنتاج الفكري للعالم العربي على مستوى العالم لا يمثل إلا أقل من (١٪)!! وبقيّة الإنتاج الفكري تتقاسمه الدول الأخرى، وهذا لا شك يُعتبر أزمةً ثقافيةً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى<sup>(٢)</sup>.

(١) قصص وحكايات من العالم إعداد منير وجوزيف عبود (ص/ ٧١).

(٢) **هذه المعلومات** التي في الفقرة السابعة استفدتُ معظمها من مقالةٍ مطوّلةٍ للدكتور/ غانم علوان الجميلي، مرفوعةٍ على الشنكوبية.

**ومما جاء في تلك المقالة أيضاً قوله:** «مدارسنا وجامعاتنا لا تُخرِّج مثقِّفين، نحن نعاني من الأمية المقتّعة؛ لأن مدارسنا تُخرِّج طلاباً وتمنحهم الشهادات؛ لسببٍ واحدٍ، وهو أنهم قضوا عدداً معيناً من الأيام على مقاعد الدراسة، وقاموا بحفظ العديد من النصوص التي مكّتهم من تجاوز الاختبارات التي تعتمد على الحفظ، لكن النتيجة أن الخريج هو أميٌّ يحمل ورقةً تسمى الشهادة!

**والدليل على ذلك سهلٌ بسيطٌ؛** حيث إنني أثناء سنوات وجودي في أمريكا لاحظتُ أعداداً كبيرةً من طلبة الجامعات يتتهزون فرصة الفراغ لكي يفتحوا كتباً يقرأون فيها سواءً كانوا في المقاهي، أو القطارات، أو السيارات، وفي الأماكن العامة. لكنني لا

ولهذا فإن من فوائد هذه المعارض تنشيط حركة النشر والقراءة في البلدان العربية والإسلامية.

## ٨ - بثُّ روح التنافس بين دور النشر المشاركة:

وهذا له فوائدٌ جمةٌ، منها:

**أولاً:** العناية بإخراج الكتاب وجودة الطباعة، وإتقان التحقيق لما يحتاج إلى تحقيق من كتب التراث ونحوها.

وهذا أمرٌ مشاهدٌ، حيث نجد طبعاٍ مختلفةً للكتاب الواحد، كلُّ دار نشرٍ تحاول أن تكون نشرتها هي الأفضل والأجود.

**ثانياً:** تخفيض أسعار الكتب؛ لكسب أكبر عددٍ من المشترين.

**ثالثاً:** التسابق إلى استقطاب المؤلفين والمحققين الجادين، والعناوين الجيدة.

أرى في عالمنا العربي أحداً يمسك بكتابٍ يقرأه، حتى في المطارات التي نقضي فيها الساعات الطوال بسبب تأخر الرحلات؛ وذلك لأننا لا نحترم الوقت! وهذه وإن كانت مشاهدةً فرديةً، ولكنها مؤيدةٌ بنتائج الدراسات العلمية التي تقول بأن المواطن العربي يقرأ ما معدله بضع دقائق في اليوم، مقارنةً بعددٍ من الساعات في الأمم الأخرى.....

إن مدرسة «النجاة» الأهلية في مدينة «الزبير» لم تكن بنايةً حديثةً مزودةً بالوسائل التعليمية، بل كانت عبارةً عن بيتٍ من الطين، لكنها خرّجت العديد من العمالقة في مجالات الأدب والسياسة والاقتصاد في الجزيرة العربية! فأين نتاجُ مدارسنا الحديثة من مدرسة النجاة؟».

## ٩ - تزويد المكتبات العامة بالجديد دائماً:

مثل مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث، والمكتبات الحكومية العامة، ومكتبات المدارس، وغيرها. حيثُ تعمَدُ تلك الجهاتُ إلى الشراء أو الاستهداء من المكتبات المشاركة في المعارض؛ لتزويد مكتباتها بالجديد. وهذه من ثمرات تلك المعارض.



## ١٠ - إقامة المعارض تُشجّع على البحث العلمي وتطوّره:

وذلك من عدة أوجه:

**أولاً:** اطلاع الباحثين على الإصدارات الجديدة يولّد لديهم الشعور بالمنافسة، كما يولّد لديهم أفكاراً جديدةً. لذا تجد أصحاب الهمم منهم تتشوّف نفوسهم للإتيان بما هو أفضل وأحسن.

**ثانياً:** تزويد الباحثين بالجديد في حقول تخصصاتهم المختلفة، ومعلومٌ أن توفّر الكتاب في كل وقتٍ وبلدٍ ليس بالأمر السهل، ولذا فإن هذه المعارض تأتي إليك بالكتاب إلى مكانك، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ.

**ثالثاً:** تُجنَّبُ المعارضُ الباحثينَ عناءَ التكرارِ لمسائلٍ قد بُحِثتْ من قبل، فإذا وجد الباحث هذه المسائل قد طُرقت، فإنه سيبحث عن مسائلٍ أخرى لبحثها؛ وبالتالي نسلم من التكرار، وضياح الجهود والأوقات.

**وهنا نقطةٌ مهمةٌ** أحبُّ أن أنبِّه الباحثين وطلابَ العلم إليها، ألا وهي أن القراءة للبحث والكتابة هي أعلى مستويات القراءة.

فكما أن هناك قراءةً تأصيل، وقراءةً جرد، وقراءةً اطلاع، وقراءةً استمتاع، وقراءةً نقد، فهناك أيضاً قراءةً بحث.

وقراءةُ البحث هي أعلى أنواع القراءة وأنضجها وأدقها؛ لأنَّ الباحث يطلع على عشرات - وربما مئات - المصادر والمراجع في المسألة الواحدة، ثم يختزل خلاصتها في صفحاتٍ قليلة، وهذا لا شك أنه عملٌ دقيقٌ وشاقٌ.

**ولهذا ذكر الوزيرُ ابنُ هُبيرة رَحِمَهُ اللهُ - كما في ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ١٥٦) - ثلاثةً أُضربَ لتحصيل العلم، منها:**  
**التصنيفُ، فقال: «يُحَصِّلُ الْعِلْمُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:**

**أحدها:** العملُ به؛ فإن من كلَّف نفسه التكلُّم بالعربية دعاه ذلك إلى حفظ النحو، ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع، تعلَّم.

**والثاني:** التعليم؛ فإنه إذا علّم الناس كان أدعى إلى تعليمه.

**والثالث:** التصنيف؛ فإنه يُخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنّف فيه».

ولهذا: يقول الحافظ العراقي في ألفية علوم الحديث «التبصرة والتذكرة»<sup>(١)</sup>:

.....  
**وإِذَا تَاهَلَّتْ إِلَى التَّأْلِيفِ** .....  
**تَمَهَّرَ وَتَذَكَّرَ، وَهُوَ فِي التَّصْنِيفِ**



## ١١ - التَعْرِفُ عَلَى دَوْرٍ نَشَرَ وَمَكْتَبَاتٍ جَدِيدَةٍ مِنْ بَقَاعِ وَدَوْلِ شَتَى:

ففي كل عام - في الغالب - تشارك دورٌ ومكتباتٌ جديدةٌ لم تشارك من قبل.

ولهذا لما سألتُ طلابَ الجامعة الإسلامية - خاصةً المستجدين منهم - عن شعورهم وهم يرون معرضَ الكتاب، كان شعورهم الانبهارَ والإعجاب؛ حيث يشاهدون هذه المكتبات تأتي من أماكن شتى، ومن بلاد بعيدة، كما يشاهدون هذا الكمَّ الهائل من الكتب، الذي كان مبعث سرورٍ لهم، خصوصاً تلك المكتبات المتخصصة التي تُعنى بلونٍ واحدٍ من العلم.

(١) (ص / ١٥٨) البيت رقم (٧٣١ و ٧٣٢).

## ١٢ - الصلة المباشرة بين المؤلف والمستفيد عن طريق ركن التوقيع:

هناك بعض المكتبات الكبرى تضع مكاناً مخصصاً لكبار المؤلفين، وعندما يشتري القارئ كتاباً يمهر المؤلف كتابه ذلك بتوقيعه !

فهذا يشجع القارئ، ويمنحه دافعاً لقراءة الكتاب، والاهتمام به؛ لأنه قد امتلك نسخةً بتوقيع المؤلف.



## ١٣ - إقامة المسابقات الثقافية والأدبية المختلفة في بعض المعارض ضمن الفعاليات الثقافية المصاحبة:

وغالباً ما تكون هناك جوائز قيّمة للفائزين، تدفعها الجهة المنظمة، أو الرعاة الداعمون للمعرض.

وهذا لا شك أنه يُمثل حافزاً قوياً للمبدعين؛ للمشاركة، وزيارة المعرض، والاستفادة منه.



## ١٤ - توفير الكتب المترجمة بمختلف اللغات:

لا سيما في المعارض الدولية، فكلُّ يجد بغيته فيها من جميع الأجناس، وبجميع اللغات المشهورة المتداولة.

وهذه نعمة عظيمة، لا سيما على الأفراد والأقليات الإسلامية التي تتحدث لغاتٍ محدودة الشهرة والتداول.

١٥ - التعرفُ على ثقافات الدول والشعوب والأمم الأخرى،  
وتلاقح الأفكار، وتبادل المعارف بين علمائها ومفكرها:

وهذا يتجلى في المعارض الدوليّة، أكثر من المعارض المحليّة.

كما يتجلى أيضًا عندما تُستضاف دولةٌ كضيف شرفٍ، وهذا لا يحصل غالباً إلا في المعارض الدولية.

وهو مكسبٌ لذلك المعرض وللجهة المنظمة، لا سيما إذا كانت تلك الدولة لها ثقلها العلمي، أو السياسي، أو الاقتصادي.

وهذه قائمةٌ بأشهر معارض الكتب الدولية، مرتبةٌ حسب تاريخ إقامتها بالتاريخ الميلادي:

م	اسم المعرض	التاريخ بالميلادي
1	معرض القاهرة الدولي للكتاب	28/1-12/2
2	معرض الدار البيضاء الدولي للكتاب	12-22/2
3	معرض نيودلهي الدولي للكتاب	14-22/2
4	معرض مسقط الدولي للكتاب	25/2-7/3
5	معرض الرياض الدولي للكتاب	14 - 24 /3
6	معرض تونس الدولي للكتاب	27/3-5/4
7	معرض ماليزيا الدولي للكتاب	25/4-5/5



م	اسم المعرض	التاريخ بالميلادي
8	معرض جنيف الدولي للكتاب	29/4-3/5
9	معرض أبو ظبي الدولي للكتاب	7-13/5
10	معرض أمريكا الدولي للكتاب	27-29/5
11	معرض سيئول الدولي للكتاب	17-21/6
12	معرض الثقافة الدولي للكتاب في الصين	26-30/8
13	معرض صنعاء الدولي للكتاب	شهر سبتمبر
14	معرض موسكو الدولي للكتاب	شهر سبتمبر
15	معرض مدريد الدولي للكتاب	23-25/9
16	معرض فرانكفورت الدولي للكتاب	14-18/10
17	المعرض الدولي للكتاب بالجزائر	30/10-8/11
18	معرض اسطنبول الدولي للكتاب	شهر نوفمبر
19	معرض الشارقة الدولي للكتاب	4-14/11
20	معرض فيينا الدولي للكتاب	11-15/11
21	معرض الكويت للكتاب العربي	19-29/11
22	معرض بيروت العربي للكتاب	شهر ديسمبر
23	معرض الدوحة الدولي للكتاب	2-12/12
24	معرض جدة الدولي للكتاب	14 - 24 /12

وهذه المعارض لها مواعيد ثابتة طيلة السنة، فيمكن المهتم أن يتابعها عن طريق (الانترنت)؛ ليقوم بزيارتها والاستفادة منها.

لكن لا بد أن يُعلم أن بعض هذه المعارض - لاسيما التي تقام في البلاد الأجنبية - هي معارض لعرض الكتب فقط، وليس فيها بيع!!

وقد زرت بعضها وفوجئت بذلك.

١٦ - أن هذه المعارض فرصة عظيمة للتعرف على الإصدارات الجديدة في جميع الفنون، ومتابعة الجديد أولاً بأول:

ولهذا؛ تشترط بعض الجهات المنظمة لمعارض الكتب ألا تقل الإصدارات الجديدة لدور النشر المشاركة والمكتبات عن نصف المعروف.

وبعض الجهات ترصد أهم الإصدارات في كل عام، وترصد الكتب الأشهر والأكثر مبيعاً.

١٧ - المردود المعنوي والمادي الحاصل للجهات المنظمة، والداعمة، والراعية، والمنفذة، والناشرين المشاركين، والمكتبات، ودور العرض:

فهذه المعارض تجلب دعاية واسعة، وسمعة ممتازة للجهات المنظمة - سواء في الداخل أو الخارج - نظير إقامتها تلك المعارض.

وعلى قدر حُسن التنظيم، وجودة العرض، واختيار المكان المناسب للمعرض، والفعاليات الثقافية المصاحبة له، والدعاية المعرفة به، تكون شهرة المعرض، وبعُد صيته.

كما أن هذه المعارض تُدرّ ربحاً جيداً للجهات المنظمة والراعية لها <sup>(١)</sup>، مما يساهم في استمرار إقامة المعارض بصفة

#### (١) فمثلاً:

- سعر المتر المربع الواحد في معرض البحرين الدولي للكتاب (٩٠) دولاراً.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض مسقط الدولي للكتاب (١٠٠) دولار.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض الرياض الدولي للكتاب (٢٠٠) دولار. ومثله معرض جدة الدولي للكتاب، ومعرض تونس الدولي للكتاب.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض الدار البيضاء الدولي للكتاب (٢٢٠) دولاراً.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض أبوظبي الدولي للكتاب (٢٥٠) دولاراً. ومثله معرض بيروت العربي للكتاب، ومعرض نيودلهي الدولي للكتاب.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض الثقافة الدولي للكتاب في الصين (٣٠٠) دولار.
- وسعر المتر المربع الواحد في معرض سيئول الدولي للكتاب (٤٠٠) دولار، علماً بأن عدد أيام المعرض أربعة أيام فقط!
- ومثله معرض موسكو الدولي للكتاب.
- وسعر الـ (١٠م<sup>٢</sup>) في معرض القاهرة الدولي للكتاب (١٥٠٠) دولار.

دائمة، وربما شجّع على إقامة معارض أخرى، وساهم في طباعة كتبٍ جديدةٍ.


هذا بإيجازٍ بعضُ الأهداف العامة.



- وسعر المتر المربع الواحد في معرض جنيف الدولي للكتاب والصحافة (٤٦٦) فرانكاً سويسرياً.

- ولعلّ أعلاها سعراً على الإطلاق هو معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في جمهورية ألمانيا الاتحادية، حيث يبلغ سعر المتر المربع الواحد فيه (٥٥٠) يورو!!

وهذه - كما ترى - أسعارٌ متفاوتةٌ، لكنها مرتفعةٌ في الجملة، فليتها تُخفّضُ ويُقتصرُ منها على شيءٍ رمزيٍّ؛ دعماً للكتاب، وتشجيعاً للقراء وأصحاب دور النشر والمكتبات.



# الفصلُ الثاني

## الأهدافُ الخاصةُ



## الفصل الثاني الأهداف الخاصة

أما الأهداف الخاصة - وهي الأمور الجزئية، أو التي تخصّ طائفة من الناس - فإليك بعضها:

١ - تشجيع طلاب العلم خاصة على القراءة في غير المقررات الدراسية:

وهذا لا شك أنه مطلبٌ جليل؛ إذ فيه دعمٌ للثقافة والقراءة والاطلاع لدى طلاب العلم - وخاصةً طلاب الجامعات - لأن كثيراً من الناس ينتقد مُخرجات التعليم الجامعي، فيقول: الجامعات لا تُخرِّج إلا أميين وإن كان معهم شهادات!! لأنه لا يقرأ إلا مذكرات الجامعة من أجل الاختبار - غالباً - ثم يخرج من الجامعة كما دخل!

وهذا في الحقيقة سلبيةٌ عظيمةٌ في التعليم الجامعي في معظم الدول العربية والإسلامية؛ فينبغي أن تُرسخ مبدأ القراءة في غير المقررات الدراسية، ونشجع الطلاب على هذا الأمر؛ لنتشلهم من الأمية الثقافية.



٢- استهدافُ شريحةِ الأطفالِ بنصيبٍ وافرٍ في هذه المعارض، مما له أكبرُ الأثرِ في بنائهم الثقافيِّ والمعرفيِّ:

لا يكاد يوجد معرضٌ للكتاب إلا ويوجد في مكتباتٍ متخصصةٍ في ثقافة الطفل. بل شاهدنا في بعض معارض الكتب الدولية صالاتٍ كاملةً مخصصةً للأطفال، يُباع فيها ما يُسمَّى بالألعابِ الذكيَّة، والقَصص، والدواوين الشعرية، والكتب الثقافية المختلفة المناسبة لهم.

كما لا ننسى المعرض الدولي لكتب الأطفال الذي يُقام كلَّ عام في جمهورية مصر العربية.

وهذا لا شكَّ أنَّ فيه ارتقاءً عظيمًا بالمستوى العلمي والثقافي لأطفالِ اليوم، رجالِ المستقبلِ.

### ٣- تعريفُ الناسِ بالمؤلِّفين:

فإنَّ أكثرَ المؤلِّفين لا يعرفهم القُراءُ شخصيًّا - حتى ولو كانوا من المشاهير - إلا من خلال كتبهم.

ولهذا تعمد بعضُ الدُّور - كما أسلفنا - إلى تخصيص ركنٍ لهؤلاءِ المؤلِّفين؛ للتوقيع على مؤلفاتهم، وهذا من فوائد هذه المعارض.



## ٤ - تُشجّع معارض الكتب جمهورَ الناس على تأسيس المكتبات المنزليّة:

المكتبات المنزليّة مهمّةٌ جدًّا لأفراد الأسرة كلهم، فينبغي أن يكون في كل بيتٍ مكتبةٌ خاصّةٌ تضمّ كتبًا متنوعَةً، تلبّي تطلّعات واهتمامات جميع أفراد الأسرة، صغيرهم وكبيرهم، رجالهم ونسائهم، بحيث يُرجع إليها، ويُقرأ فيها كلّ وقتٍ.

وهذه المكتبة تحتاج إلى تأمّل في اختيار الكتب؛ حتى لا تملأ بالغلث غير المفيد، فينبغي أن يُتخيّر لها الكتبُ المفيدةُ النافعةُ الجامعةُ<sup>(١)</sup>.

(١) كثيرٌ من القُراء - ومنهم طلابُ علمٍ - لا يحسن انتقاء الكتب، فيشتري الكثير من الكتب في فنٍّ واحدٍ، وبعضها يُعني عن بعض! فتجده يشتري مثلاً عشرة كتبٍ في التفسير، وعشرة كتبٍ في أصول الفقه، وعشرة كتبٍ في مصطلح الحديث، وعشرة من كتب معاجم اللغة.... وهكذا!! وهذا خللٌ منهجيٌّ؛ بل ينبغي أن يقتصر على كتابٍ أو كتابين في كل لونٍ من ألوان المعرفة.

لكن إن كان باحثًا يحتاج إلى تعدّد المصادر، وكانت لديه القدرةُ الماليّة والمكانُ المتسعُ فلا بأس.

أما إن كانت قدرته الماليّة ضعيفةً، أو لم يكن هناك مكانٌ مُتسعٌ، فينبغي عليه حينئذٍ أن يتتقى؛ حتى لا يملأ الأرففَ بما يعني بعضه عن بعض.

ولهذا فإن أرسطو لما سُئِل: كيف تحكم على إنسان؟ قال: أسأله كم يقرأ؟ وكيف يقرأ؟! فليست العبرة بالكمّ فقط، وإنما بالكيف أيضًا.

وهناك كثيرٌ من المكتبات المنزلية تكوّنت بعد الزيارة الأولى لمعرض الكتاب، ثم ما لبثت أن تنامت وتوسّعت مع مرور الأيام. كما أنّ المعارض تساعد أيضاً على تغذية المكتبات المنزلية باستمرارٍ بكلّ جديدٍ.

## ٥ - معارضُ الكتب فرصةٌ لالتقاء الباحثين والمحقّقين والعلماء وطلاب العلم من شتّى الأصقاع:

هذا من أعظم فوائد المعارض؛ إذ إن كثيراً من الشخصيات العلمية، من الباحثين، والمحقّقين، والكتّاب، والمثقفين، والأدباء، لا تكاد تجدهم إلا في المعارض. فهذه المعارض تُعتبرُ بحقّ (مَصِيدَةً) لهذه الفئات التي لا تكاد تراها إلا نادراً، وخاصةً عندما يأتي الزائرُ وافداً من مدينةٍ أخرى، أو من دولةٍ أخرى، فهذا من أعظم المكاسب لهذه المعارض من وجهة نظري.

٦ - أنها تمنح القارئ فرصة الانتقاء من الكتب المتعددة في الموضوع الواحد، والموازنة بينها، واختيار الأفضل:

من مزايا معارض الكتب أنك تجد في الموضوع الواحد عشرات الكتب، وهذا يتيح لك فرصة الاختيار والانتقاء والموازنة؛ لاصطفاء الأمثل، والأكثر نفعاً لك. وهذا ما لا تكاد تجده في المكتبات العادية.

٧ - افتضاح دور النشر الفاشلة:

هناك بعض دور النشر - أو بالأصح النشل<sup>(١)</sup> - تصدّت لطباعة الكتب، خصوصاً كتب التراث: ككتب التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، وغيرها من كتب العلوم الإسلامية والعربية، فأخرجتها إخراجاً سيئاً، مليئة بالأغلاط، والأوهام، والتصحيفات، والتحريفات، بل والزيادات أحياناً!!<sup>(٢)</sup>.

(١) يتعارف الناس في هذا الزمان على أن النشل هو السرقة على غيرة بخفة يد! وهي كلمة (مُحَلَّنَةٌ) كما في المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٣).

لكن هذا المعنى له أصل في اللغة، فقد جاء في لسان العرب (١١/ ٦٦١): «نَشَلُ الشَّيْءِ يَنْشُلُهُ نَشْلاً: أَسْرَعُ نَزْعَهُ»، وهذه صفة النشال الذي يُسرِعُ بنزع النقود في خِفة!

(٢) من ذلك: أني وجدت في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب (تنقيح التحقيق) لابن عبد الهادي ثلاثة وخمسين لوحةً مُدخلةً في الكتاب ليست منه، بل هي من كتابٍ آخر

غريب!!

وربما عمدت هذه الدُّور إلى تحقيقاتِ بعض المحققين المشهورين فسرقت جهودهم، وأخرجت الكتب التي حقَّقوها ووضعت عليها بعض الأسماء الوهميَّة؛ للتمويه! أو كتبت على غلاف الكتاب عبارة: (حقَّقه نُخبَةٌ من العلماء بإشراف الناشر)!! والحقُّ أنه تحكيكٌ لا تحقيقٌ!!

والأدهى والأمرُّ، أن هذه الدُّورَ ما تركت كتابًا من كتب التراث المشهورة وغير المشهورة إلا وطبعته!

فمن مزايا معارض الكتب أنها تفضح هؤلاء السُّراق النشالين؛ وذلك بسبب كثرة المعارض من الطبعات المتعدِّدة للكتاب الواحد، فيُميِّز القارئُ الحضيفُ حينئذٍ الجيدَ من الرديءِ، والغثَّ من السمينِ، فيسقط هؤلاء الأذعياءُ على أمِّ رؤسهم!!<sup>(١)</sup>.

وهنا لفتةٌ مهمَّةٌ جدًّا، ألا وهي أنه ينبغي للعاقل ألا يُضيعَ ماله في شراء كتب التراث التي تولَّت طباعتها هذه الدُّورُ السيئةُ، ولم تُحقَّقها تحقيقًا علميًّا جدًّا؛ لما في ذلك من المحاذير، منها:

**أولاً:** أن هذا فيه تشجيعٌ ودعمٌ لتلك الدور، لمواصلة العبثِ بالتراث ومصادرِ العلم، وتدميرِ المكتبة الإسلامية.

(١) **كتبٌ** في الردِّ على هؤلاء الناشرين العابثين قصيدةٌ حماسيَّةٌ طويلةٌ بعنوان «الرَّهْص» **والوَهْصُ**، وهي منشورةٌ في كتابٍ بالعنوان نفسه، فانظرها فيه إن شئتَ غيرَ مَقْسُورٍ.

**ثانياً:** أن في هذا تضييعاً للوقت والجهد؛ حيث تكاد تنعدم الفائدة من قراءة هذه الطبعات التجارية؛ لما فيها من الأخطاء الكثيرة والكبيرة! ولما استراه فيها من العجائب والغرائب! (١).

**ثالثاً:** أن في هذا إضاعةً للمال؛ وقد نهى الله تعالى عن إضاعته. فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٢) بسنده عن الشعبي قال: حدثني كاتب المغيرة بن شعبة، قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أن اكتب إلي بشيء سمعته من النبي **صلى الله عليه وسلم**، فكتب إليه: سمعت النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: **«إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»**.

وهنا نقطة مهمة أحب أن أنبه عليها، ألا وهي أن القارئ ينظر أولاً ما ينظر عند شراء الكتاب إلى الثمن، فتجده يقارن بين أسعار الطبعات؛ ليختار في النهاية الأقل ثمنًا، وهذا لا بأس به إذا كانت

### (١) من ذلك على سبيل المثال:

أنه وردت في بعض كتب الفقه التي طبعوها كلمة: (ابن لبون) فقال المحكك في الحاشية: «لم أجد له ترجمة»! ظنه الجاهل علمًا من الأعلام!!  
وبعد بقليل جاءت كلمة: (بنت لبون) فقال: «لم أجد لها ترجمة، ولعلها أخت السابق!!»

وفي كتاب آخر قال أحد المحككين في تخريج حديث: «رواه النبي!!»

(٢) (٢/ ١٢٤) برقم (١٤٧٧).

الطباعات كلها جيدة أو متقاربة، أما أن يكون ذلك على حساب الإلتقان، وجودة التحقيق فلا!

ولذا أنصح إخواني بالطبعة المتقنة حتى وإن زاد ثمنها.



## ٨ - توفيرُ عناء البحث عن الكتاب، وعن طبّعاته المختلفة:

من أعظم فوائد معارض الكتب أنها تجمع أعداداً هائلةً من الكتب، وبطباعاتها المختلفة - لاسيما الكتب التي تُعتبر مصادر، مثل كتب التفسير، وكتب السنة، وكتب التاريخ، ومعاجم اللغة، ونحو ذلك <sup>(١)</sup> - تجمع ذلك في مكانٍ واحدٍ، وتحت سقفٍ واحدٍ، في وقتٍ واحدٍ!

وهذه نعمةٌ عظيمةٌ جداً، لا يُقدَّرُها حقُّ قدرها إلا هائمٌ بالعلم، عاشقٌ للكتب!

لذا أنصح زائرَ المعرض ألا يبادر بشراء كتابٍ ما - لا سيما الكتب المشهورة - حتى يقيّد عنده في الدفتر <sup>(٢)</sup> سعر الكتاب،

(١) هناك عشرات الطباعات لبعض الكتب.

فمثلاً: تفسير القرطبي له أكثر من عشرين طبعة! وصحيح البخاري له أكثر من خمسين طبعة! ورياض الصالحين له طبعات كثيرة جداً... وهلمّ جرّاً.

(٢) فائدة: الدفتر: عربي لا يُعلم له اشتقاق. وحكي: دَفَتْرٌ بالكسر. ويقال أيضاً: تَفَتَّرَ.

مطالع البدور ومنازل السرور للغزولي (ص / ٢٣٧).

ومميّزاتِ الطبعة باختصار، والدارَ التي أصدرته، ورقمها ورقم جناحها في المعرض، ثم بعد الموازنة يختار الأجوَدَ والأنسبَ. ففي أحد المعارض المحليّة وَجَدْتُ ثمانِ عشرة طبعةً لـ «صحيح البخاري»! هذا عدا شروحه.

ثم إن هذا يناسب المهتمّين بجمع الطبعات؛ للموازنة والمفاضلة بينها، فبعضُ الناس له ولعٌ زائدٌ بهذا الأمر؛ فتكون هذه المعارض بالنسبة له أعظمَ متعةٍ ينتظرها بفارغ الصبر، وكما قال الشاعر:

ولكلِّ طالبٍ لذةٌ مُتنزِّةٌ      وألذُّ نُزْهةٍ عالمٍ كُتِبَ!

فلا تبادلُ بشراء أيِّ كتابٍ دون أن تبحثَ عمّا ذكرتُ لك؛ حتى لا تشتريَ طبعةً رديئةً وهناك ما هو أجودُّ منها، أو غالية الثمن وهي هي في دارٍ أخرى بثمنٍ أقلّ.

## ٩ - الحصولُ على الكتابِ بثمنٍ أقلّ؛ لوجود التنافس بين المشاركين:

حتى إن بعض المكتبات يكون عندها فائضٌ من الكتب، فتبيعُ كتبها بثمنٍ زهيدٍ جداً، إذ ربّما باعت المجلدَ بخمسة أو عشرة ريالات، بينما يكون ثمنه أكثرَ من ذلك بكثيرٍ.

فهذا لا شك أنه مكسبٌ كبير، خصوصاً لجمهور الناس،  
ومحاويج طلاب العلم.

١٠ - أن المعارضة تتيح الفرصة للمؤلفين؛ للتفاهم مع دور النشر  
على طباعة كتبهم وإنتاجهم العلمي:

فكم أبرم المؤلفون والباحثون في تلك المعارض من عقود مع  
دور نشرٍ داخليةٍ وخارجيةٍ، لطباعة كتبهم، ونشر مؤلفاتهم، دون  
الحاجة للسفر إلى تلك البلاد - لا سيما القاصية منها - فوفروا  
على الباحثين عناء البحث ومشاق السفر.  
وقد حصل هذا لي مع بعض دور النشر الدولية.

١١ - في المعارض تشجيعٌ للناشرين لإتقان كتبهم صفاً، وتحقيقاً،  
وطباعةً، وإخراجاً؛ لوجود المنافس:

فعندما يشاهد الناشرُ الدورَ الأخرى وقد أصدرت طبعاتٍ  
متقنةً وجيدةً لبعض الكتب، فإن هذا سيُحَمِّسه لمنافستهم،  
وسيَحْمِلُهُ ذلك على إجادة الطبع والتحقيق والإخراج؛ ليكسب  
القارئ!



**ولذا:** فقد كنتُ أنصحُ طلابي أن يترشّوا في الشراء حتى يأتي وقتُ المعرض؛ لأنه سيجد في المعرض الطبعاتِ الكثيرة، والأسعارَ المناسبةَ المنافِسةَ، مما يتيح له الموازنةَ بين الطبعاتِ المختلفة... إلى غير ذلك من الفوائد.

١٢ - أن القارئَ يستطيع أن يعرف كلَّ ما صدر في الموضوع الفلاني، أو في المسألة الفلانية؛ لكثرة المعارض من الكتب:

لاسيما في المعارض الدولية التي ربما وصل عددُ الكتب فيها الملايين، فقد عُرض في أحد المعارض الدولية العربية في سنةٍ من السنوات: تسعة ملايين عنوان!! وهذا - بلا شك - كم هائل.

**ولهذا ينبغي** أن يحرص المهتمُّ - لا سيّما طلابُ الدراساتِ العليا - على زيارة هذه المعارض، حتى ولو كانت في دولٍ أخرى؛ فقد يُعرَض هناك ما لا يُعرَض في بلده، وقد يُتعرَّض في بعض الأقطار لمسائل ونوازل لا يُتعرَّض لها في أقطارٍ أخرى؛ لعدم الحاجة إليها.

أما من لم يستطع الوصول بنفسه إلى المعارض، فإنَّ بإمكانه أن يشتري الكتابَ وهو جالسٌ في بيته، عن طريق وسائل الشراء الحديثة عبر (الانترنت) وغيره.

### ١٣ - توفيرُ الكتب والمجَلَّات النادرة، والطبعات القديمة، والتجاليد الفخمة:

هناك مكاتبٌ متخصصةٌ في بيع الطبعات النادرة، أصولاً أو تصويراً، ومن البدهيِّ أنها ستكون غالية الثمن؛ لأنها طبعاتٌ نادرةٌ. لكنَّ هذا النوعُ له عُشاقُه، يشترونه ولو بوزنه ذهباً! مثلما صنع ابنُ الخشَّاب عندما باع داره ليشتري كتاباً كما سبق.

وقد جاء في كتاب «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» **للقسطلاني (١ / ٤١):** «ثم وُجد الجزء الأوَّل من أصل اليُونيني المذكور يُنادى عليه للبيع بسوق الكتب، فَعُرِف وأُحضر إليَّ بعد فقده أزيد من خمسين سنة! فقابلتُ عليه متنَ شرحي هذا، فكَمَلتُ مقابلي عليه جميعه حسبَ الطاقة، والله الحمد».

وهناك أيضاً بعضُ الإصدارات لا تجدُها إلا في المعارض، مثلُ المجَلَّات القديمة التي كان يكتبُ فيها كبارُ العلماء والكتَّاب، من أمثال: المنفلوطي، والرافعي، والمازني، والعقَّاد، والزيَّات، ومحمد رشيد رضا، وأحمد شاکر، ومحمود شاکر، والطنطاوي، ومحمد بهجت البيطار، ومحَبِّ الدين الخطيب، ومحمد حامد الفقي، وغيرُهم.

فهذه المعارضُ فرصةٌ عظيمةٌ؛ لاقتناء مثل هذه الإصدارات النادرة.



## ١٤ - أنه قد يُباع في هذه المعارض الكتابُ المستعملُ:

والكتابُ المستعملُ - وإن كان مستعملاً - إلا أن فيه فوائد كثيرة؛

**منها:** قِلَّةُ ثمنه غالباً.

**ومنها:** أن بعض هذه الكتب قديمةٌ لم تُعدَّ طباعتها، ولا تكاد تُوجد.

**ومنها:** أن هذا الكتاب ربما كان لعالم من العلماء أو محققٍ من المحققين المشاهير، فيكون ذلك مكسباً في حدِّ ذاته، وقد رأيتُ في بعض زياراتي للمكتبات كتباً خاصةً لسيد صقر، وعبد السلام هارون، وغيرهما من أعلام المحققين.

**ومنها:** أنك ربما وجدت بعض التعاليق النفيسة على ذلك الكتاب، وقد تكون تلك التعاليق لواحدٍ أو أكثر من العلماء! وهذا أهمُّها.

**يقول العقاد:** «أذكرُ أني عثرتُ بكتابٍ لي، عليه تعليقاتي وملاحظاتي، بعد فقدته بخمسٍ وعشرين سنة، ولو علم بائعه سرُّه عندي لغالني بثمنه، ولكنه أعطانيه وهو مُفرطٌ فيه، مسروراً بما نقدته من ثمنٍ قليلٍ بالقياس إلى رغبتني فيه، كثيرٍ بالقياس إلى رغبة البائع في تصريفه!»<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة الرسالة، العدد (٣٩٥).

وقد اشتريتُ أنا ذاتَ مرةٍ كتاباً مستعملاً من مصر من كتب الكوثري! فوجدتُ صاحبَ الكتابِ قد علّقَ على كلِّ صفحةٍ، بل على كلِّ فقرةٍ من فقراتِ الكتابِ!!

١٥ - تَمْنَحُ المعارِضُ الفرصَةَ للمشتري لاختيار شكل الكتاب، وحجمه، وعدد مجلداته، ونوع التجليد، ولون الورق:

وذلك لكثرة المعروض من الكتب في تلك المعارض - لاسيما الكتب المشهورة - .

فهناك كتبٌ تصدر في مجلدٍ أو مجلداتٍ قليلةٍ (مضغوطةٍ)، وهناك كتبٌ تصدر في مجلداتٍ كثيرةٍ.

وهناك أحجامٌ مختلفةٌ للكتب: حجمٌ صغيرٌ، ووسطٌ، وكبيرٌ. وهناك كتبٌ ذاتُ ورقٍ أصفرٍ فاخرٍ (شمواه)، وكتبٌ ذاتُ ورقٍ أبيضٍ ناصعٍ مصقولٍ، أو ورقٍ شعبيٍّ خفيفٍ ... إلخ. وهناك طبعاتٌ ملوّنةٌ فاخرةٌ<sup>(١)</sup>، وطبعاتٌ خاليةٌ منها.

هذه بعضُ أهدافِ المعارضِ ذكرتها على عَجالةٍ، وإلا فإنَّ بعضها يحتملُ البَسْطَ والتفصِيلَ.

(١) جاء في بعض الإحصائيات، أن الناسَ تُقبلُ على الكتابِ المطبوعِ بألوانٍ أكثرَ من الكتابِ العادي، مع أن تكلفته أربعةُ أضعافِ الكتابِ العادي!

# الفصل الثالث

## مقترحات وتحذيرات



## الفصل الثالث مقترحات وتحذيرات

هذه بعض الاقتراحات والتحذيرات، ينبغي أخذها بعين الاعتبار، لاسيما من قِبَل المسؤولين عن إقامة معارض الكتب.

أولاً: يجب عدم استغلال هذه المعارض لنشر كتب الإلحاد، والزندقة، وعلم الكلام، وكتب الفرق الضالة!

وذلك بحجة التنوير! أو الانفتاح! أو الحرية الفكرية! أو غير ذلك من الشعارات الزائفة .

وهذا - مع الأسى البالغ - يُوجد في كثيرٍ من معارض الكتب التي تُقام في الدول العربية والإسلامية!!

حيث تُعرض مثل هذه الكتب الزائفة لعموم الناس، ويُروَّج لها، بل قد تُعقد لها ندوات خاصة؛ للتعريف بها، والتنويه بشأنها!!



ولذا فقد حذر العلماء من هذه الكتب أشدَّ التحذير؛ لِعَظِيمِ  
خطرها، وشديدِ ضررها (١) .

(١) قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي: «عاش ابنُ الراوندي والمعري - عليهما لعائنُ الله - يظنُّون ويثرون، هذا يقول: حديث خرافة! والمعري يقول: تَلَّوْا بَاطِلًا وَجَلَّوْا صَارِمًا وقالوا: صَدَقْنَا؟ فقلنا: نَعَمْ! يعني بالباطل: كتابُ الله عَزَّجَلَّ! وعاشوا سنينَ، وعُظِّمَتْ قبورُهم، واشترتْ تصانيفُهم، وهذا يدلُّ على بُرودة الدين في القلب». الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١/ ٢٣٧).

❖ وقال الإمام القرافي: «أربابُ البدع والتصانيف المضلَّة ينبغي أن يُشهرَ الناسُ فسادَها وعيِّبَها، وأنهم على غير الصواب؛ ليحذرَها الناسُ الضعفاء فلا يقبعوا فيها، ويُنفَرَّ عن تلك المفاصد ما أمكن، بشرط أن لا يُتعدَّى فيها الصِّدق». أنوار البروق في أنواء الفروق (٤/ ٢٠٧).

❖ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كره لمن لا يكون له نقدٌ وتمييزٌ، النظرُ في الكتب التي يكثرُ فيها الكذبُ في الرواية، والضلالُ في الآراء، ككتب أهل البدع. وكُرِهَ تَلَقِّي العلم من القُصَّاص وأمثالهم الذين يكثرُ الكذبُ في كلامهم، وإن كانوا يقولون صدقًا كثيرًا». منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٦٨).

❖ وقال أيضًا: «مَنْ أَدَمَنَ على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع». اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٣).

❖ وقال الإمام ابن القيم: «الكتبُ المشتتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافُها وإعدامُها، وهي أولى بذلك من إتلاف آلاتِ اللهو والمعازف، وإتلاف آنية الخمر، فإنَّ ضررها أعظمُ من ضرر هذه، ولا ضمانَ فيها، كما لا ضمانَ في كسر أواني الخمر وشقِّ زقاقها». الطرق الحكمية (٢/ ٧١٤).

❖ وقال أيضًا: «لا ضمان في تحريق الكتب المضلَّة وإتلافها .



وجاء في ترجمة الخليفة العباسي المعتضد بالله (ت ٢٨٩ هـ) أنه أمر في أول سنة استُخلفَ فيها (٢٧٩ هـ) ألاَّ يُقعدَ في الطريق مُنجمٌ، ولا قَصَّاصٌ، ومنع الوراقين واستحلفهم ألاَّ يبيعوا كتبَ الفلاسفة والجدل (١).

قال المروزي: قلتُ لأحمد: استعرتُ كتابًا فيه أشياء رديئةً، ترى أن أُخرِّقه أو أُحرِّقه؟ قال: نعم.

وقد رأى النبي ﷺ بيد عمر كتابًا كتبه من التوراة، وأعجبه موافقته للقرآن، فتمعر وجه النبي ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التوراة فألقاه فيه. فكيف لو رأى النبي ﷺ ما صنَّف بعده من الكتب التي يُعارض بعضها ما في القرآن والسنة؟ والله المستعان «المصدر نفسه (٢/ ٧١٠).

✽ **وقال أيضًا:** الكتب المشتملة على الشرك، وعبادة غير الله، يجب إزالتها وإعدامها. وبيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها، فهو أولى بتحريم البيع من كل ما عداها؛ فإنَّ مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها. زاد المعاد (٥/ ٧٦١) بتصرفٍ يسير.

✽ **وقال الحافظ الذهبي:** «العِلْمُ الذي يحرم تعلُّمه ونشره: علمُ الأوائل، وإلهيات الفلاسفة، وبعض رياضتهم بل أكثره، وعلمُ السحر، والسيماء، والكيمياء، والشعبذة، والحِجَل، ونشرُ الأحاديث الموضوعية، وكثيرٌ من القَصَص الباطلة أو المنكرة، وسيرةُ البَطَّال المختلقة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعرٌ يُعرض فيه إلى الجنب النبوي.

فالعلومُ الباطلةُ كثيرةٌ جدًا فلتُحذَر، ومن ابتلي بالنظر فيها للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعُه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين. وكذلك أحاديث كثيرةٌ مكذوبةٌ وردت في الصفات، لا يحلُّ بثها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامها، فحسن. اللهم فاحفظ علينا إيماننا، ولا قوة إلا بالله». سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٤).

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص/ ٥٦٩) و (ص/ ٥٧٣).

## ثانياً: عدم السماح بعرض الكتب المنحطة أخلاقياً:

كدواوين الشعر الفاضحة، والقصص الماجنة، والمجال الهابطة، وهذه موجودة في أكثر المعارض، لاسيما الدولية منها!

**قال العلامة تاج الدين السبكي** عن الواجب على المشتغل بسخ الكتب - الذين هم بمثابة أصحاب دور النشر اليوم - : «ومِنْ حَقِّه أَلَّا يَكْتَبَ شَيْئاً مِنْ الكُتُبِ المِضَلَّةِ؛ ككُتُبِ أَهْلِ البِدْعِ والأَهْوَاءِ؛ وكذلك لا يَكْتُبُ الكُتُبَ التي لا يَنْفَعُ اللهُ تَعَالَى بِهَا؛ كسيرة عنتره وغيرها من الموضوعات المختلقة التي تضيع الزمان، وليس للدين بها حاجة. وكذلك كتب أهل المجون، وما وضعوه في أصناف الجماع، وصفات الخمور، وغير ذلك مما يهيج المحرمات.

فنحن نُحذِرُ النَّسَاحَ مِنْهَا؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَغْرُهُمْ، وَغالبًا مُسْتَكْتَبُ هذه الأشياء يُعْطِي مِنَ الأَجْرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطِيهِ مُسْتَكْتَبُ كِتَابِ العِلْمِ؛ فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدينه» (١).

**وقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي** (ت ١٩٦٥ م): «إِنَّ الكِتَابَ الَّذِي يُقْرَأُ كَالطَّعَامِ الَّذِي يُؤْكَلُ، فَطَعَامٌ يُعْطِي أَكَلَهُ القُوَّةَ وَالفَرَاهَةَ، وَطَعَامٌ يُعْطِي أَكَلَهُ الضَّعْفَ وَالهُزَالَ!» (٢).

(١) معيد النعم ومبيد النقم (ص / ١٠١).

(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤ / ٣٧٤).

**وقال الشيخ صالح الفوزان:** «من آفات اليهود: أنهم يؤلفون المؤلفات ويكتبونها بأيديهم، ويضمّونها الباطل، ويقولون: هذا من عند الله؛ ليحصلوا على مكافأة من الناس، أو يبيعوا هذه الكتب في الأسواق وتدر عليهم أموالاً.

وتصنيفُ الكتب الضالّة وترويجُها على الناس حرفة اليهود، وَمَنْ تشبّه بهم من هذه الأمة» <sup>(١)</sup>.

**والعجيبُ** أنّ أسعارَ هذا اللون من الكتب عاليةٌ جداً، ومع هذا تجد تكالبَ الناس عليها على أشدّه!!

وإنفاقُ المال في شراء هذه الكتب مذمومٌ للغاية، وكلُّ إنسانٍ سوف يُسألُ يومَ القيامة عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وقد نبّه شيخ الإسلام إلى أنّ إنفاقَ الأموال في كتابٍ من كتب الفجور: من كتب الأسمار أو الأشعار، أو حكمة فارس والروم، من الفساد الذي لا صلاح فيه! <sup>(٢)</sup>.

**ولله درُّ أبي بكر الخوارزمي** حيثُ قال: «الغيرةُ على الكُتب من المكارم، بل هي أختُ الغيرةِ على المحارم» <sup>(٣)</sup>.

(١) شرح مسائل الجاهلية (ص/١١٦).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٢٦).

(٣) يتيمة الدهر (٤/٢٢٤).

ثالثاً: ينبغي للقارئ الحريص على وقته وماله وفكره وأخلاقه، أن لا يقع في مصيدة كتب الروايات الأدبية!!

فإن أكثرها روايات سخيصة فجّة<sup>(١)</sup>، هدفها جمع المال! وتضييع الوقت! وبعضها يهدف إلى زعزعة العقائد، وزلزلة الأخلاق!!

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً!

قال ابن الجوزي عمّن يشتغل بمثل هذا: «رأيتُ عمومَ الخلائق يدفعون الزمانَ دفعاً عجيباً: إن طال الليل، فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاةٌ وسمرٌ! وإن طال النهار، فبالنوم! وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق! فشبّهتهم بالمتحدثين في سفينة، وهي تجري بهم، وما عندهم خبر!»<sup>(٢)</sup>.

(١) تأمل معي هذه العناوين لبعض تلك الروايات، فإنها ستُشعركَ بالمضمون: «فُسُوق»! «نُبَاح»! «شُرْفَةُ العار»! «فئران أمي حِصّة»! «نساء المنكر»! «طُقُوس الغواية»! «قبل أن تبرد القهوة»! «ستعشقني رُغم أنفك»! «كحّه يا بابا»! «اغتصاب شرعي»!! «المختصر، من سيرة المندي المتطرّف»!! «عايزه أتجوز»! «سُكّر زيادة»! «نساء قصّ ولزق»! «أحببتك أكثر ممّا ينبغي»! «اكتشاف الشهوة»! «زوجتي من الجن»! «أنوثة طاغية»! وغيرها الكثير الكثير من هذا الغناء!

(٢) صيد الخاطر (ص/ ٢٥٧).

**وقال ابنُ تيمية:** «مَنْ أَدْمَنَ قَصَصَ الملوِكِ وَسَيَّرَهُمْ؛ لَا يَبْقَى لِقَصَصِ الأنبياءِ وَسَيَّرِهِمْ فِي قلبه ذاكِ الاهتمام» (١).

**وتقدّم معنا قبل قليل قولُ السُّبكي:** «وكذلك لَا يَكْتَبُ الكُتُبَ التي لَا يَنْفَعُ اللهُ تَعَالَى بها؛ كسيرة عنتره وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضيّع الزمان، وليس للدين بها حاجة».

وقد أُتخِمتْ أسواقُ الكُتُبِ بِغَيْرِ هذه الرواياتِ وَغُثَائِهَا، وصار لها سوقٌ رائجةٌ، لاسيما بين الشبابِ والنساءِ، الذين هم وَقُودُهَا وَمَقْصُودُهَا!

ومما يدلُّك على بلوى هذه الروايات؛ أن أصحابَ الفكر المنحرف قد وجدوا فيها بُغيتهم وطلبتهم، فأخذوا يدسُّون فيها السَّمَّ الرُّعافَ، يَرُومُونَ من وراء ذلك أمرين:

**أولهما:** بثُّ أفكارهم المنحرفة فيها بطريقة لا يكاد يتفطن لها إلا الحاذق اللبيب، وذلك عن طريق الإيحاء إذا خافوا الرقيب! أو التصريح إذا غاب الحسيب!

**وثانيهما:** اللواذ عند المحاسبة والمعاقبة - إذا ما تُفطن لهم وحات ساعة المحاققة! - لأنه سيقول: هذا ليس كلامي ولا أعتقده! وإنما هو كلام فلان من أشخاص الرواية! (٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤٣).

(٢) كما كتب أحد الروائيين من زنادقة العصر - أخزاه الله - في بعض رواياته، على لسان أحد أشخاصها: «فالله والشيطان واحد هنا، وكلاهما وجهان لعملة واحدة!!!»

لكنّ هذا لا يمنع من وجود بعض كتب الروايات الهادفة السديدة، التي قد يُستفاد منها الأدب والفكر، فهذه لا بأس بقراءتها والانتفاع بما فيها، ولا سيّما التي كتبها الأدباء المتّزنون من أصحاب الفكر النظيف.

ومثلها كتب الرحلات، فإنها مناسبة جدًا للمولعين بالسرد القصصي والحكايات والماجريات، لا سيّما إذا كانت لعلماء فضلاء، من أمثال شيخ الرحّالين: محمد بن ناصر العبودي - الذي طوّف أصقاع المعمورة وشرق وغرب - وغيره.



#### رابعاً: الحذر من الاختلاط بين الرجال والنساء:

لأن هذه الأماكن - أعني معارض الكتب - أماكن قُربة إلى الله عزّوجلّ؛ لما يُباع فيها من الكتب العلمية النافعة. والواجب أن يُخصّص وقت للرجال، ووقت للنساء أو العائلات؛ دَرءً للاختلاط والفتنة!

أمّا النساء اللّائِي لا يأتين المعارض إلا من أجل الفُرجة! واستعراض المفاتن أمام الغادي والرائح! والتقاط الصُّور! فأقول لهنّ:

جاءت لتعرض نفسها في معرضٍ للكُتُبِ لا للزِّيِّ، بسِّس المقصِّدُ!  
أو ما دَرَّتْ تلك الفتاة بأنه يبكي الحيَّ من فعلها والسُّودُّدُ! (١)

خامساً: ألا يكون همُّ الجهة المنظمة للمعرض وكذا الناشر،  
الكسبَ الماديَّ فقط !!

بل يجب أن يكون الهدفُ هو نفعُ الناس ونشرُ العلم، والمألُ  
سيحصلُ تبعاً إن شاء الله تعالى، والله عزَّ وجلَّ سيبارك في القليل إذا  
صاحبه الإخلاصُ.

وقد سئل شيخُ الإسلام عن رجل نوى كتابة الحديث والقرآن  
العظيم لنفسه أو للبيع، هل يكون له أجرٌ وثوابٌ؟

فأجاب: ليس عليه إثمٌ فيما ينويه ويفعله من كتابة العلوم  
الشرعية؛ فإنَّ كتابة القرآن والأحاديث الصحيحة والتفاسير  
الموجودة الثابتة، من أعظم القربات والطاعات.... ويؤجر الإنسانُ  
على كتابتها، سواءً كتبها لنفسه، أو كتبها لبيعها، كما قال النبي  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ: صَانِعَهُ،

(١) لطيفة: رأى ديوجانس الكلبي الحكيم المشهور امرأةً مترينةً في ملعب، فقال: لم  
تخرج ليرى، ولكن ليرى!! الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٠٢).

والرامي به، والمُمدَّ به» (١) فالكتابةُ كذلك؛ ليتنفع به، أو ليتنفع به غيره، كلاهما يثاب عليه (٢).

سادساً: إجراء حواراتٍ مباشرةٍ بين الناشر والقارئ، وبين المؤلف والقارئ:

وهذا فيه فوائدٌ لكلا الطرفين، حيثُ يبثُّ كلُّ واحدٍ همومَه وأفكارَه وخبراته للآخر.

سابعاً: استضافةُ أصحابِ القراءاتِ الواسعة، وكبارِ المثقفين، وكذلك المهتمِّين بجمع الكتب النادرة والطبعات القديمة، في محاضراتٍ ولقاءاتٍ على هامش المعرض:

وذلك ليبينوا للناس تجاربهم وحكاياتهم مع القراءة، والبحث، والكتابة، وجمع الكتب، وطلب العلم، وغير ذلك؛ مما فيه تحفيزٌ للناس وتشجيعٌ لهم على القراءة وحبِّ الكتاب.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨ / ٥٣٣) وغيره. قال محققوه: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

(٢) انظر الفتاوى الكبرى (٥ / ٨٤)، ومجموع الفتاوى (١٨ / ٧٤).



ثامناً: عدم التحسّر على المال الذي يُنفقه المشتري على شراء الكتب النافعة:

لأن إنفاق المال على شراء الكتب النافعة عبادة عظيمة، كما أنها نفقة مخلوفة بإذن الله تعالى.

ويعجبني كلام لأحد الكتّاب قال فيه: إن الشابّ ليدفع خمسين ريالاً؛ لإصلاح رأسه من الخارج - يقصد قصّات الشّعر -، ويبخل أن يدفع خمسة ريالاً؛ لإصلاح رأسه من الداخل - يقصد بشرائه كتاباً يقرأه - !!

ولهذا يقول الجاحظ: «الانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه، ولا بدّ من أن تكون كتبه أكثر من سماعه.

ولا يعلم، ولا يجمع العلم، ولا يُختلف إليه، حتى يكون الإنفاق عليه من ماله، ألذّ عنده من الإنفاق من مالٍ عدوّه !

ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب، ألذّ عنده من إنفاق عشاق القيان، والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً !

وليس يتنفع بإنفاقه، حتّى يُؤثّر اتّخاذ الكتب إشاراً الأعرابيّ فرسه باللبن على عياله، وحتّى يؤمّل في العلم ما يؤمّل الأعرابيّ في فرسه! (١).

(١) كتاب (الحيوان ١ / ٤١).

تاسعاً: تنظيم مسابقات في البحوث الثقافية، ومسابقات في الشعر والقصص والخطابة، وإلقاء أسئلة مباشرة لجمهور المعرض:

فكما تُقام ندوات، وحوارات، ومحاضرات، وبعض المنافسات، على هامش المعرض، فحبذا لو تجرى أيضاً مسابقات في البحوث الثقافية، والشعر والقصص والخطابة، وتلقى أسئلة مباشرة لرواد المعرض، وتكون الجوائز كلها مجموعة من الكتب.



عاشراً: - وهو اقتراح لطيف - أرى أن يُستجلب هؤلاء الشباب الذين يتسكعون في الأسواق، ويُؤذون الناس بأقوالهم وتصرفاتهم! أرى أن يُستجلبوا إلى معارض الكتب؛ ليمارسوا هواية التسكع بين الكتب!

فلعل ذلك يكون سبباً لهدايتهم، وطريقاً لاستقامتهم. إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# الفهارس



## فهرس الفوائد واللطائف

الصفحة

الفائدة أو اللطيفة

- معنى (المحاضرات) عند العلماء المتقدمين وفي عصرنا الحاضر ..... ٥
- سوق طرف من مكانة الكتاب عند علمائنا الأسلاف ..... ٩
- قف على أروع وأمتع وصف للكتاب على الإطلاق ..... ١٢
- الأسواق التي لا ينبغي لأهل العلم والفضل أن يدخلوا غيرها ..... ١٥
- ذكر طرف من اللطائف والنوادر والحكايات، مما كان يجري في أسواق الكتب القديمة ..... ١٨
- المختصرات الثلاثة المباركة ..... ١٨
- كائنة غريبة حصلت للطبيب فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي في سوق الكتب ! ..... ١٩
- احتراق خمسة عشر ألف مجلد دفعة واحدة لأحد تجار الكتب بدمشق ! ..... ١٩
- عالم يبيع داره من أجل شراء كتاب !! ..... ٢١
- قصة لطيفة حدثت في سوق الكتب حول بيت من الشعر ..... ٢٣
- فكرة جيدة في إعارة الكتب لطلبة العلم ..... ٢٥
- قصة لطيفة في رداء الخط وقعت لصفى الدين الهندي الأرموي في سوق الكتب !! ..... ٢٦

- ٢٧ ..... كتب ممنوعة من البيع !  
فائدة في شرح حديث: «مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ نَهَاوِشٍ، أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَاوِشٍ» والكلام
- ٢٨ ..... على سنده ومتمنه .....  
كأنته عجيبة في حرص بعض المياسير على شراء كتاب لا يدري ما فيه؛ من أجل
- ٣٠ ..... أن يُجمَل به خزائنه !! .....  
طائفة من الضوابط اللغوية المستطرفة .....
- ٣١ .....  
تصحيح بيت المتنبي: أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرحٍ سايحٍ ! .....
- ٣٨ .....  
عدد الكتب التي تُطبع في العالم العربي سنويًا موازنةً بغيره ! .....
- ٤١ .....  
قف على أعلى أنواع القراءة شأنًا .....  
٤٥ .....  
العثور على كتاب نادرٍ في سوق الكتب، بعد فقده أزيد من خمسين سنة ! .....  
٦٦ .....  
كلمة نفيسةٌ للجاحظ في الحث على الإنفاق على الكتب .....  
٨١ .....



## فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مُقدِّمة السُّلْسة	٥
محاضرة أسواق الكُتب	٩
الفصل الأول: الأهداف العامة	٣٧
الفصل الثاني: الأهداف الخاصة	٥٥
الفصل الثالث: مُقترحات وتَحذيرات	٧١
الفهارس	٨٣
فهرس الفوائد واللطائف	٨٥
فهرس موضوعات الكتاب	٨٧

تم الصف والإخراج بإشراف

مؤتَب (بن) قِيم للبعث العلمي

٠٠٢ ٠١٢ ٨٣ ٦ ٥٥ ٦ ٧٨